الخط العربى ودوره فى التقارب بين الثقافتين العربية والتركية
فى ضوء مجموعة من اللوحات الفنية باللغة التركية والعربية
بالمكتبة المركزية للمخطوطات بالقاهرة

ملـ ـخص:

تتناول هذه الورقة الخط العربى[١] وانتشاره بين الأمم، ومنها الأمة التركية، ودوره فى المتغيرات الثقافية بين الأمتين العربية والتركية باعتباره من أهم الروابط بين هذه الأمم[٢] بعد الدين واللغة، ومن أهم نتائج الحضارة الإسلامية، كما تتناول هذه الورقة تأثير الخـ ـط علـ ـى وحدة الشعبين العربي والتركي[٣]، من خلال تقييم الدور التاريخى والثقـ ـافى والفنـ ـى للخـ ـط العربى وتطوره فى ضوء مراحل الظهور الواسع للأتراك فى الدولة الإسلامية، وتأثيرهم فى التراث والثقافة الإسلامية، وسرعة تحول اللغات التركية إلى الحرف العربى.

ويدور البحث حول محورين متكاملين فيما يخص الخط العرب ودوه بين العرب والترك وهما:

الأول: دور الأتراك فى تحسين الخط العربى وتطويره فى ضوء تشجيعهم لاستخدامه، وتنوع كتاباتهم وإبداعاتهم سواء أكان ذلك باللغة التركية أم بالعربية أم بالفارسية فى مختلف الجوانب الأدبية والعلمية والفنية. **الثانى:** دور الخط العربى وإمكانياته وقدرته فى أن يحـ ـوز إعجـ ـاب

---

(١) ألقى هذا البحث فى المؤتمر العربى – التركى الدولى للعلوم الاجتماعية (ATCOSS) الذى عقد فى تركيا (أنقرة) فى الفترة من ١٠– ١٢ ديسمبر ٢٠١٠م.

(٢) تميزت اللغة العربية والخط العربى مثلما تميز الدين الإسلامى بميزة فريدة، فمع أن الفاتحين الذين ظهروا قبل العرب لـ ـم يستطيعوا أن يفرضوا على الأمم المغلوبة دينهم أو لغاتهم، استطاع العرب أن ينشروا لغتهم بين الأمم التى فتحوهـ ـا حتـ ـى صارت اللغة العربية عامة فى جميع البلاد التى استولوا عليها حيث حلت محل ما كان فيها من لغات كالفارسية واليونانيـ ـة والقبطية والبربرية، وأصبحت اللغة العربية لغة أهل العلم والأدب فى بلاد فارس، وظل الفرس يكتبـ ـون لغـ ـتهم بـ ـالحروف العربية، وانتشرت اللغة العربية والخط العربى بين الأتراك، حتى إنه لا يوجد فى تركيا إنسان على شئ من التعليم إلا ويفهم لغة القرآن بسهولة. وقد كان للغة العربية أثر كبير فى اللغات اللاتينية، وقد ألف كل مـ ـن المستشـ ـرقين دوزى وأنجلمـ ـان معجما فى الكلمات الأسبانية والبرتغالية المشتقة من اللغة العربية. غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتـ ـر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص٤٤٠ .

(٣) تحولت اللغة العربية فى خلال مئة عام إلى لغة عالمية؛ إذ وجدت قبولًا بين الأمم والجماعات وامتزجت طبيعتهم بطابعهـ ـا، وشكلت تفكيرهم ومداركهم، وقيمهم وثقافتهم، وصبغت حياتهم المادية والعقلية بالصبغة العربية، فأعطت للاجناس المختلفـ ـة فى القارات الثلاث وجها واحدا مميزا، حتى إن السلاجقة والأتراك والمماليك والتتار ظلوا بقلوبهم رعايا مخلصـ ـين للثقافـ ـة العربية وللغتها ولأساليب الحياة العربية وفكرها. زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م، ص ٣٦٨.

سلاطين الأتراك فى قمة مجدهم، ليكون الخط الرسمى لدولتهم معبرا عن سياساتهم وآدابهـ.م وانتصاراتهم. إضافة إلى دوره فى التقريب بين الشعوب التركية والعربية فى مختلف الميادين الرسمية والشعبية، وما زالت الشواهد الآثارية الرسمية والشعبية، الدينية منها والأدبية والعلمية والفنية تكشف جزءا من هذا الجانب كما سيتضح من البحث.

الكلمات المفتاحية: الخط العربى، اللغة العربية، اللغة التركية، الثقافتان العربية والتركيـ.ة، الخطاطون، الطوائف المرتبطة بالخطوط، اللوحات الفنية.

أهداف البـ. .حث:

١ – محاولة إبراز مكانة الخط العربى، ومدى اهتمام الأتراك بالخط العربى والفنون الإسلامية منذ بداية العصر الإسلامى.

٢– محاولة إلقاء الضوء على مراحل التقاء الأتراك ولغاتهم بالخط العربى وأثر ذلك علـ.ى إثراء الخط العربى وتطوره وعلى وحدة الثقافة والفنون الإسلامية بشكل عام، وعلـ.ى ظاهرتى وحدة الفنون الإسلامية وعالمية الفن الإسلامى[٤] ".

٣– محاولة إلقاء الضوء على الدور الذى قام به الخط العربي فى الجمع بين الثقافتين العربية والتركية وشعبيهما.

٤– إظهار أهمية اللغة التركية بحروفها العربية قراءة وفهما وترجمة من خلال ما يأتى:

- التأكيد على أهمية وعى الأجيال التركية والعربية[٥] بتراثهم العلمى والأدبى والفنـ.ى الضخم فى ظل الحرف العربى مع إبراز أهمية هذا التراث لتاريخ تركيا والعـ.رب معا .
- الحاجة الماسة لوضع استراتيجية قابلة للتفعيل، للحفاظ على هـ.ذا التـ.راث العربـ.ى التركى الكبير المخزون والدفين فى بواطن المكتبـ.ات العالميـ.ة المختلفـ.ة وكيفيـ.ة الاستفادة منه.

---

(٤) تميز الخط العربى الإسلامى بأهم سمات الحضارة الإسلامية والفنون الإسلامية وهى (الوحدة – التنوع – العالميـ.ة) فالوحـ.دة تتمثل فى أصله اللغوي (أ– ب– ت – ...) أما التنوع فقد تنوع الخط العربى إلى أنواع إبداعية كثيـ.رة (الطومـ.ار، الثلـ.ث، الديوانى، ..) إضافة إلى تنوع المواد مثل المعادن والزجاج والخزف والخشب والرخام والاحجـ.ار وتنوعهـ.ا علـ.ى العمـ.ارة وغيرها، أما العالمية فإن الخط العربي دخل إلى كل بلد من بلاد العالم الإسلامى، وقد ابتكر كل بلد من هذه البـ.بلاد أسـ.اليب إبداعية جمالية لصياغة الخطوط العربية. أنصار محمد عوض الله رفاعى، الأصول الجمالية والفلسفية للفن الإسلامى، رسـ.الة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ص ٢٥٢–٢٧٠

(٥) بقيت تركيا تكتب بالحروف العربية حتى 1918م عندما استبدل مصطفى أتاتورك الحروف اللاتينية بها.

- إبراز الدور الثقافى والاجتماعى والفنى الذى قام به الخ.ط العرب.ى وتجل.ى ف.ى اللوحات الفنية المرقومة بالخط العربى فى العصر العثمانى .

ظهور الخط العربى بين الأتراك:

وهنا تساؤل عن الأسباب والعوامل التى جعلت الخط العربى خطًا رسميا للأت.راك بكل لغاتهم فى مختلف فترات حكمهم بعد ظهورهم فى الدولة الإسلامية[٦] ؟! وعن مواكبة هذا الخط لتقدم الأتراك واتساع دولتهم إلى أن أصبحت امبراطورية مترامية الأط.راف، من ناحية التعبيرعن آدابهم وثقافتهم وعلومهم وفن.ونهم وانتصـ.اراتهم[٧]؟! ودوره بـ.ين شعوب هذه الدول سواء فى سرعة تعلمه وانتشاره بينهم أو فى وحدتهم وق.وة الرابط.ة بينهم.

وتجدر الإشارة إلى التراث الضخم لمادة الخط العربى، الذى هو مادة الفكر والعل.م والأدب والتراث والحضارة، وحتى ندرك ضخامة هذا التراث وعمقه يكفى الإشارة إل.ى مثالين أولهما من تركيا ممثلاً فى المكتبة السليمانية والتى تضم وحدها أكثر م.ن (١٢٥) ألف[٨] مخطوط، والآخر من مصر وهو دار الكتب المصرية التى تضم أكثر م.ن (٧٠)

---

(٦) كانت أولى الدول التركية الإسلامية القره خانيين (الأويغور)(٨٤٢: ١٢١٢م) & والدولة الغزنوية التى تأسست ٩٧٧م،على يـ.د سبوك تكين

& والدولة السلجوقية مرورا بالدولة المملوكية فى مصر، حتى الدولة العثمانية فى أوج اتساعها، أوقطاى آصلانابا، فنون الترك وعمائرهم،

ترجمة أحمد محمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، أستانبول١٩٨٧م، ص١٠، ٢١، ٣٢، ٥٧ .

(٧) واكبت المخطوطات العثمانية بصورها وشرحها بالخط العربى الموضوعات الأدبية والعلمي.ة والإجتماعي.ة والانتصـ.ارات العسكرية المختلفة، فعلى سبيل المثال فى المجلد الثانى من هنرنامه (مؤرخ ١٥٩٢هـ. بالمكتبة الأهلية بباريس) صـ.ور دقيق.ة لأصول ضرب الحصار وللعمائر والخيام المعاصرة والخطط والادوات العسكرية فى إخراج واقعى كامل. ومن هذه المنمنمات واحدة تصور حصار " فينا" على يد السلطان سليمان القانونى ويظهر فيها أبهة الخيام والأبراج والعمائر مطابقة للواقع ومسايرة لصور المعارك الحربية وأدواتها فى ذلك الوقت . ومثال آخر لصورة الانتصار على ملك المجر، نحس عند رؤيته.ا بعن.ف المعركة الحربية وضراوتها، فالتلال مغطاة من أعلاها الى أسفلها بجنود الإنكشارية، تسير فى اتجاه.ات مختلف.ة والفرسـ.ان والمشاة موزوعون فى الصورة توزيعا ينطق بقدرة المصور، وفى وسط هذا الخضم البشرى نرى السلطان سليمان القانونى فى حجم كبير. أوقطاى آصلانابا، فنون الترك وعمائرهم، ص٢٩١: ٣٠٢ ؛ عبدالعزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية فـ.ى العصر العثمانى، ص ٢٠١، ٢٠٢ . .

(٨) ولو أخذنا مثالاً واحداً للتدليل على هذا المادة الضخمة للخط العربى وعلى دور الدولة العثمانية فى داخل تركيا فى الجمع بين اللغات الثلاث ما احتوته المكتبة السليمانية والتى تعد أهم مركز للمخطوطات والكتب القديم.ة المطبوع.ة بالعربي.ة والتركي.ة والعثمانية، حتى يقدر ما تحتويه ب (١٢٥) ألف مخطوطة و(٥٠) ألف كتاب مطبوع ويرجع تاريخ مكتبة السليمانية لعهد السـ.لطان سليمان القانوني (١٥٥٧م)،، وتمثل الكتب العربية القسم الأعظم من محتوياتها.

ألف[٩] مخطوط، هذا غير الآلاف من المخطوطات فى المكتبات الأخرى سواء فى تركيا أو مصر أو فى إيران أو البلاد العربية أو الأجنبية والمتاحف العالمية المختلفة[١٠]،إضافة إلى الخط العربى الذى يشكل العامل المشترك فى مختلف الآثار المعمارية والفنية .

وهناك خصوصية هامة متعلقة بالخط العربى، دون الخطوط العالمية الأخرى[١١]؛ هى أن المسلمين بعامة والأتراك العثمانيين بشكل خاص قد وضعوا الخط العربى فى أسمى مكانة بين فنونهم جميعا، فاعتبروه فناً مقدسا لا يقدمون على مزاولته إلا إذا استعدوا له بالوضوء، لا سيما إذا كانوا مقدمين على نسخ القرآن الكريم وتدوينه، الذى تعد كتابته بالخط العربى وتلاوته من العبادات، التى يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى[١٢]، هذا الجانب المتعلق بالعاطفة الدينية كان من القوة بحيث ينظر إلى الخط بمتعة روحية سامية، لا سيما وأن فى القرآن الكريم سورة تسمى سورة القلم، اضافة لما ورد فى سورة (العلق) عن القلم فى قوله تعالى " الذى علم بالقلم "[١٣]؛ وقد صور هذه الحقيقة بوضوح أحد الخطاطين الأتراك بقوله: " أيها القلم احضر واكتب بما يليق بالبدء، فابدأ باسم الله أولاً، فهو القديم وهو كاتب اللوح، وهو الحفيظ وعالم علم الأزل، وكل شيء مكتوب ومرقوم كما ينبغى، وهو واحد فرد بلا نظير، وأوضح كيف يكون حرف النون والكاف، فالكاف ظهرت فى "كن وكان"، والكاف مدورة كقوس قزح، وهذا القلم من صنع الله، إذ حرر وصور فى البداية نقش النون، وقد دون نقشها فى لوح القلب، إذ لم يتأخر القلم عن أمرالله قط[١٤].

---

(٩) عزت ياسين أبوهيبة، المخطوطات العربية فهارسها وفهرستها ومواطنها فى جمهورية مصر العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٩م ، صـ ٨ : ٥٠

(١٠) أيمن فؤاد سيد، الكتاب العربى المخطوط وعلم المخطوطات، جزءان،الدار المصرية اللبنانية،١٩٩٧م، ج٢، ص٥١٠: ٥١٦ .

(١١) بعض الباحثين يقارن بين الخط العربى والخط (اللاتينى) من حيث الإنتشار ولكن الخط العربى يفوق اللاتينى من حيث مختلف الوجوه منها أرتباطه بالعقيدة، إضافة إلى ما حظى به من ابداع وتطور وفن لم يحظى به الخط اللاتينى ولا غيره، وما ارتبط به الخط العربى من اكتشاف واستخدام الورق وبالتالى ثورة الكتب وبالتالى عدد المخطوطات التى لم تتوفر للخط اللاتينى.
Ananda Coomaraswamy, Arabic and Turkish Calligraphy, Search in: Bulletin of the Museum of Fine Arts , Boston, Vol.,27, No.162 (Aug.,1929), pp.50-57

(١٢) نادر عبدالدايم محمود، التأثيرات العقائدية فى الفن العثمانى، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٩م، ص٢٠٥، محمد عبدالعزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى، ص ١٧٧.

(١٣) سورة القلم هى السورة رقم (٦٨) فى القرآن، والآية(٤) من سورة العلق .

(١٤) مخطوطة باللغة التركية بدار الكتب المصرية للمؤلف، فيروز القره حصارى أحد الخطاطين الأتراك بعنوان، ميزان الخط منظومة فى أصول الخط وآلاته وأدواته، دار الكتب المصرية، تيمور ٢٣.

ومن خصائص الخط العربى أيضا، هى طبيعته الإختزالية التـ ـى عبـ ـر عنهـ ـا المستشرق "ريتر" أستاذ اللغات الشرقية فى جامعة "استانبول"، وهو من الأسـ ـاتذة الـ ـذين حضروا وحاضروا فى العهدين العثمانيين عهد (الخلافة)، وعهد (كمـ ـال أتـ ـاتورك) [١٥] بقوله: " إن الطلبة قبل الانقلاب الكمالى فى تركيا، كانوا يكتبون ما أتلـ ـوا علـ ـيهم مـ ـن المحاضرات بسرعة فائقة، لأن الحرف العربى اختزالى بطبعه، أما اليوم فـ ـإن الطـ ـلاب يكتبون بالحرف اللاتينى، لذا فهم لا يفتأون يطلبون إلي أن أعيد عليهم العبارات مـ ـرارا، إنهم معذورون، لأن الكتابة اللاتينية لا اختزال فيها، فلا بد من كتابة الحروف بتمامها،إن الكتابة العربية أسهل كتابات العالم وأوضحها فمن العبث إجهاد النفس فى ابتكار طريقـ ـة جديدة لتسهيل اليسير ".

وفى ضوء هذه المكانة، وهذه الطبيعة الإختزالية التى ارتبطت بالخط العربى يمكننـ ـا إلى حد كبير تفهم سرعة تحول الأتراك إلى الخط العربى، تاركين أبجدياتهم الموروثـ ـة، ولم يكن ذلك من جانب الحكام وموظفى الدولة فحسب، بل أيضا من جانب العامة[١٦]، وما نتج عن ذلك من تراث ضخم مدون بالخط العربى فى مختلف مناحى الحياة، كما كان من نتيجته هذا الاهتمام والإبداع غير المسبوق الذى حظى به هذا الخط من مختلـ ـف فئـ ـات المجتمع.

وقد ارتبط الخط العربى بالناحية السياسية[١٧]، خاصة فى العصر العثمانى، فكان– مثلا– الخط الديواني، وجلي الديواني والطغراء تسمي مجموعة الخط الهمايوني أي المقدس، لأنهـ ـا

---

(١٥) أحمد رأفت، الرسم بالألوان فى القرآن الكريم، دار الجميل للنشر والتوزيع والإعلام، (د.ت)، ص٧٣ .

(١٦) من أهم العوامل التى ساعدت على سرعة انتشار الخط العربى والذى تميز بميزة لم تتوافر لكل الخطوط الكبرى السابقة مثل اليونانى أواللاتينى أو غيره، وهى أن الخط لم يقتصر على فئة الموظفين والمثقفين، بل أصبح الاحتياج إلـ ـى تعلـ ـم الخـ ـط احتياج شعبى عام لكل فرد مسلم بوازع الدين، لما أولاه من المكانة الهامة للقراءة والكتابة وللعلم وللعلماء ولقـ ـراءة القـ ـرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والاحكام الفقهية والعلوم المدنية وغيرها.

(١٧) وقد ظهر ارتباط الخط العربى بالسياسة وبوصفه شعار للدولة الاسلامية، منذ تعريب الطراز البيزنطى(بالخط اليونانى) علـ ـى البردى إلى الطراز العربى، فى عهد عبدالملك بن مروان، حيث ارتبط الطراز البيزنطى بشعار الدولة البيزنطية (عبارة باسـ ـم الأب والابن والروح القدس)، والذى تحول إلى شعار الدولة الإسلامية عبارة (التوحيد المدونة بالخط العربـ ـى) وقـ ـد ارتـ ـبط الطراز منذ ذلك الوقت باسم الحاكم المسلم والتاريخ، ثم انتشر هذا الطراز بعد البردى على العملة بعد عملية تعريب السكة ثـ ـم انتشر على النسيج، واصبحت مصانع النسيج الخاصة بالحكام تسمى (مصانع الطراز) ثم انتشر بعد ذلك على العمـ ـائر وبـ ـاقى الفنون وخاصة التى تنسب إلى السلاطين ورجال الدولة ثم ازداد الدور السياسي للخط بعد ذلك:
Valad Atanasiu, The President and the Calligrapher: Arabic Calligraphy and Its Political Use, Akpia – MIT, studies in Architecture, History & culture.

كانت سرا من أسرار السلاطين والقصور السلطانية، لا يعرفها إلا كاتبوها، وكانت تستعمل في كتابة التعيينات والأوسمة والنياشين والمناصب الرفيعة، ثم سمى بعد ذلك بالخط الديواني، لاستعماله في الدواوين (الوزرات) الحكومية، كما كان قبل العثمانيين قلم الطومار مخصصا لتوقيع الخلفاء على التقاليد والمكاتبات من الخلفاء والسلاطين وإليهم ، ومختصر الطومار والثلثين لكتابة اعتماد الوزراء والنواب على المراسم، ولكتابة السجلات المصونة، وقلم الثلثين للكتابة من الخلفاء إلى العمال والأمراء في الآفاق، أما المدور الصغير فكان لكتابة الدفاتر ونقل الحديث والشعر، وقلم الأشربة للكتابة إلى مهندس الري، وقلم المؤامرات لاستشارة الأمراء ومناقشتهم، وقلم العهود لكتابة العهود والبيعات، وقلم الحرم للكتابة إلى الأميرات من البيت المالك[١٨]، وهكذا.

وبدأ انتشار الخط العربى بشكل واسع فى مختلف أقطار الدولة الإسلامية بعد عملية التعريب الواسعة، التى استهلت بتحولين فارقين فى عهد الخليفة عبدالملك بن مروان(٦٦هـ . ٨٦هـ)، أولهما تعريب القراطيس (أوراق البردى) [١٩]، والآخر تعريب السكة (العملة)، هذان التحولان كانا مقدمة لتحررالدولة الإسلامية فى عصورها المتعاقبة، فى مختلف المجالات السياسية والثقافية والإقتصادية، وفى سير عملية التعريب واتساعها بوجه عام، وقد تمت عملية تعريب الدواوين (الوزارات) فى مختلف الأقطار الإسلامية[٢٠]، إذ كانت هذه

---

(١٨) القلقشندي، صبح الاعشى فى صناعة الإنشا،ج٣، ص٤٧ ؛ جورجي زيدان، التمدن الإسلامي، ج٣، ص٢.

(١٩) والقراطيس هى ورق البردى الذى كانت بيزنطة تستورده من مصر، وتدفع عنه دنانير بيزنطية، وكان صناع مصر من الأقباط يوقعون على هذه القراطيس من أعلاها باسم المسيح " باسم الآب والابن والروح القدس " وعلامة الصليب، ورأى عبدالملك بن مروان ان ذلك الوضع لا يتفق مع عقيدة الإسلام، فأمر بأن تستبدل هذه العلامة بعبارة " التوحيد "، وهذا التغيير أحدث ضجة كبيرة فى بيزنطة وأرسل جستنيان يهدد الخليفة الأموى عبدالملك بن مروان بأنه سيوقع السكة(العملة) بعبارة سب الرسول عليه الصلاة والسلام فى حالة عدم الرجوع عن ذلك، واستشار الخليفة مستشاريه ومنهم خالد بن يزيد بن معاوية فى هذا الأمر، وكان عالما بفنون الكيماء، فأشار عليه خالد بمقاطعة الدنانير البيزنطية، والبدء بضرب الدنانير والدراهم الإسلامية.البلاذرى، (أحمد بن يحيى بن جابر، المتوفى ٣٧٩هـ)، فتوح البلدان، بيروت ١٩٧٥م، ص ٣٣٦ ؛ الدميرى، حياة الحيوان، القاهرة ١٩٥٤م، ج١، ص٦٢، ٦٤؛ سعيد مغاورى، البرديات العربية فى مصر الإسلامية، الهيئة العامة لقصور الثقافة،القاهرة، (د.ت)، ص ١٥٠.

(٢٠) أدي تعريب الدواوين في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ) إلي تنافس فئات الشعوب الإسلامية على تعلم اللغة العربية، ووسيلتها الكتابة بدوافع دينية وعلمية، وحتى يحتفظوا بوظائفهم، وسعيا لتولي وظائف جديدة. محمد نبيه عاقل، خلافة بنى أمية، دمشق، ١٩٧٣م، ص ١٩٠؛ حسين عبد الرحيم عليوة، الكتابات الأثرية العربية، الطبعة الأول، القاهرة،١٩٨٤ م، ص ١٥.

الدواوين بغير العربية، فديوان الشام – مثلا– كان بالرومية والعراق بالفارسية وديوان مصر بالقبطية، حتى أخذت عملية التعريب تنتقل من قطر إلى آخر[٢١].

ويمكن تقسيم مراحل اتصال الأتراك بالعربية والخط العربى إلى ثلاث مراحل، تبدأ **الأولى** منذ مطلع القرن (٢هـ/ ٨م)، حيث خضعت المناطق التركية الواقعة على حدود إيران والعراق للخلافة العباسية ببغداد، وأصبحت مصدر لا ينضب من الجنود والرقيق، وأصبح كثير منهم ذا شأن فى " بغداد " عاصمة الخلافة العباسية، حتى أن الخليفة هارون الرشيد(١٧٠ - ١٩٣هـ) كانت أحد زوجاته وهى أم الخليفة المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧هـ) تركية[٢٢]، وقد بدأ ظهور الأتراك[٢٣]بشكل واسع فى الدولة الإسلامية فى عهد الخليفة المعتصم، والذى يقال: إنه أول من اعتمد على الترك بشكل جدى، وأول من أدخلهم فى الديوان، وهو الذى أسقط العرب من الجيش لحساب الترك، ويقال: إنه كان يمتلك قبل توليه الخلافة حوالى (٣٠٠٠) من الأتراك، وصار لديه (٤٠٠٠) من الأتراك قبل انتقاله إلى" سامرا"[٢٤].

ويرى البعض أن عدد الأتراك وصل فى عهده إلى أكثر من (٧٠٠٠٠)، وتتفق المصادر على أنه كان أول من مكنهم من السيطرة فى الدولة[٢٥]، وزاد نفوذ الأتراك فى عهد الواثق بالله (٢٢٣-٢٣٢هـ)، وصارت لهم السيطرة المطلقة على كثير من الأمور، وقد استخلف الواثق أشناس التركى فى سنة ٢٢٨م على تدبير أمر الدولة، ويذكر السيوطى عن هذا الخليفة: وأظن أنه أول خليفه استخلف سلطانا، فإن الترك قد كثروا فى أيام أبيه[٢٦].

وتأتى المرحلة **الثانية** لدور الاتراك فى تطور الخط العربى على يد السلاجقة فى نهاية القرن التاسع الميلادى، على يد قبائل الغز والأوغز، الذين عرفوا بعد اعتناقهم الإسلام باسم

---

(٢١) ابن النديم، الفهرست، دار المعرف، بيروت ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م، ص٣٠٣.

(٢٢) حسن الباشا، دراسات فى تاريخ الدولة العباسية، دار النهضة العربية، ١٩٩٠م ، ص ٤٨، ٤٩.

(٢٣) بيتر شوجر، أوربا العثمانية (١٣٥٤- ١٨٠٤م)، ترجمة عاصم الدسوقى، دار الثقافة الجديدة، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ص٢٢.

(٢٤) عاصمة الخلافة التى انتقل اليها الخليفة المعتصم (٢٢١هـ) بعد ان ترك بغداد لازدحامها بالأتراك.

(٢٥) حسن الباشا، دراسات فى تاريخ الدولة العباسية، ص ٤٨، ٤٩؛ السيوطى، تاريخ الخلفاء، ص٢٢٣.

(٢٦) حسن الباشا، دراسات فى تاريخ الدولة العباسية، دار النهضة العربية، ١٩٩٠م، ص ٤٩، ٥٠ ؛ السيوطى، تاريخ الخلفاء، ص٢٢٦

"التركمان"، وفى منتصف القرن العاشر الميلادى، استطاع خلفاء سلجوق التوسع جنوبا وغربا حتى أصفهان بإيران، وقد تمكن طغرل من إرساء نفوذه فى بغداد فى سنة ١٠٥٥م[٢٧]، ثم استطاع ابن عمه ألب ارسلان فى عام ١٠٧١م وعند "ملاذكرد" شمال بحيرة "فان" تحقيق انتصار حاسم على البيزنطيين، وأسر امبراطورهم "رومانوس ديوجينز" Diogenes "، وقد نجح السلاجقة على أثر ذلك فى إقامة مراكز نفوذ وقوة لهم فى مناطق مختلفة مثل الأناضول فى آسيا الصغرى وغيرها.

وقد كتب الأتراك لغتهم بالخط العربى منذ انتشار الإسلام بينهم، خاصة فى عهد السلاجقة الذين كان لهم فضل كبير فى النهوض بفن الخط العربى، وقد درس السلطان طغرل بك السلجوقى هذا الفن على يدى أحد أقارب المؤرخ الشهير " الراوندى " صاحب كتاب "راحة الصدور وآيات السرور"، وعندما حذق هذا الفن بدأ فى نسخ القرآن الكريم فى ثلاثين جزءا، كما استخدم المزخرفون فى تجميل ما كتب[٢٨].

وكان نتيجة لاتساع الرقعة التى حكمها السلاجقة من العالم الإسلامى، وكثرة استخدام الخط العربى فى منشآتهم الدينية والمدنيه والعسكرية بالإضافة الى فنونهم التطبيقية، تطورالخط العربى، وظهورعدة أنواع منه مثل الخط النسخ الذى ظهر بدايةً من العصر السلجوقي فى الشرق الإسلامى[٢٩] والجمع بين الخطين الكوفي والنسخ في أثر واحد[٣٠]؛

---

(٢٧) أستطاع السلاجقة أن يوحدوا الدولة الإسلامية، بعد السيطرة علي إيران وبغداد والشام وبلاد العرب وأرمينيا الصغري وآسيا الصغري ومكة والمدينة، واستولوا علي حلب سنة (١٠٧٠م) فانتشرت جيوشهم فيها إلى قرب الدردنيل، ومن هذه الفتوحات تأسست دولة سلاجقة الروم فيما بعد. إبراهيم أحمد العدوي، تاريخ العالم الإسلامي، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة، ص ٢٨٤؛ محمد عبدالعزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٧م، ص١٧٤ .

(28) Shayatai M. A., Turkish Sources for the Study of Islamic Calligraphy, Ankara, 1961, pp.77-79 . محمد عبدالعزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى، ص١٧٤

(٢٩) وأقدم قطعة أثرية معروفة عثر عليها للخط النسخي ترجع إلي عصر السامانين، وهو درهم أصدره إسماعيل بن أحمد السامانى سنة (٢٩٣هـ. / ٩٠٦م) في خراسان، والمثال الآخر نقوش كتابية في الطابق الثالث للمنارة الكبرى في حلب سنة(٤٨٣هـ. / ١٠٩٠م)؛ وفي كتابات مسجد ملكشاه في مدينة أمد سنة ٤٨٤هـ. / ١٠٩١م. مني محمد بدر محمد بهجت، أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي علي الحضارتين الأيوبية والمملوكية، مكتبة زهراء الشرق، ج٣ الطبعة الأولي، ٢٠٠٣م، ص ١٩ ؛ جروهمان، النسخ والثلث، ترجمة، غانم محمود، بحث بمجلة المورد ، العدد الرابع، المجلد ١٥ لسنة ١٩٨٦ م، ص ١١٤ .

(٣٠) ومن أقدم أمثلة العمائر السلجوقية التي زخرفت باستخدام الخطين معاً زخرفة جصية عثر عليها علي جدران مسجد جامي في قزوين سنة ٥٠٩هـ. / ١١١٦م . منى محمد بدر، آثر الحضارة السلجوقية، ج٣، ص ٧٣ .

وظهور الخط الثلث المجسد (المنفذ على هيئة الأشكال والكائنات الحية)[٣١]، والخط الكـ.وفي الهندسي المربع (البنائى)، وهو الذى يزخرف المساحات الهندسية المختلفة، ويكـ.ون سـ.مك الأحرف مساويا تقريبا سمك الفراغات التى بينها[٣٢].

وتمثل المرحلة **الثالثة** قمة ما وصلت إلية اللغة العثمانية المدونة بالخط العربى[٣٣] فبعد تأسيس الإمبراطورية العثمانية (٦٩٩هـ. -١٣٤١م) وخلال الفترة التى تميزت فيها هذه الدولة بقوتها، وخاصة فى منتصف القرن الخامس عشر فى ١٤٥٣م إذ فتحت القسطنطينية على يـ.د محمد الفاتح، إلى منتصف القرن السابع عشر، ووصلت الدولة العثمانية آخر حدود المجر فى أوربا ووصلوا إلى مدينة " ڤينا " عاصمة النمسا(١٦٨٣م)، وحاصروها وأخذوا الجزية مـ.ن الأرشيدوق فرديناند[٣٤]، وإذ كان الخط العربى الخط الرسمى للحكومة فى الدولـ.ة العثمانيـ.ة وأملاكها فى أوربا مدة أربعة قرون ونصف[٣٥].

---

(٣١) وقد ظهر هذا النوع من الخط النسخ والثلث ذي الرسوم الآدمية في خراسان منذ أوائل القرن السادس الهجـ.ري (١٢م) فـ.ي العصر السلجوقي، ومنها انتشر بعد ذلك إلى الموصل ومن الأمثلة على ذلك إبريق من النحـ.اس الأصـ.فر المكفـ.ت بالفضـ.ة، يزخرف رقبته شريط من كتابة بالخط الثلث الذي تنتهي قاماته بأشكال آدمية يؤرخ بسنة ٦٢٩ هـ. (١٢٢١م) . منـ.ى محمـ.د بدر، أثر الحضارة السجوقية، ص ١٨٣؛ نعمت إسماعيل علام، فنون الشرق الأوسط في العصور الإسـ.لامية، دار المعـ.ارف، الطبعة الثالثة، ص١٤٤.

(٣٢) ومن اقدم الأمثلة المعروفة حتى الآن للخط الكوفى الهندسى(البنائى) فى "مسجد الجمعة " أو المسجد الجـ.امع باصـ.فهان فـ.ى إيران، ويرجع تاريخه إلى (عام ٤٨١هـ.)، أما المثال الثانى فهو الخط الكوفى الهندسى المنفذ داخـ.ل حشـ.وات زخرفيـ.ة ذات مساحات كبيرة مربعة الشكل على جدران برج النصر الذى شيده السلطان السلجوقى مسعود الثالث بولاية غزنـ.ة(بافغانسـ.تان حاليا)، ويرجع تاريخ هذا البرج إلى عام(٤٨٢هـ. - ٥٠٩هـ.). سامى احمدعبدالحليم إمام، الخط الكوفى الهندسـ.ى المربـ.ع، حليه كتابيه بمنشات المماليك فى القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة للطباعه والنشر والتوزيع، الإسـ.كندرية، ١٩٩١م، صـ. ٨٤، ٨٥، ٨٦ .

(٣٣) وفى دائرة المعارف البريطانية عند الحديث عن اللغات التركية وكتاباتها: " إن حروف الهجاء العربية عامة الاسـ.تعمال فـ.ى اللغات التركية، ولو أن بعض القبائل فى روسيا تستعمل الحروف الروسية ". انظر: إبراهيم جمعة، قصة الكتابة العربيـ.ة، دار المعارف بمصر، سلسلة اقرأ، القاهرة ١٩٨٤، ص ٣٦- ٤٦.

Encyclopedia Britannica, Vol. XXIII, p.661..

(٣٤) أرسل الملك يانوش ملك المجر ومندوب الخليفة العثمانى سليمان القانونى رسالة بأن أرشيدوق النمسا فرديناند يخطـ.ط لغـ.زو المجر بعد إتفاق اتفاقات عقدها سرا مع عدد من أمراء المجر يتولى بموجبها هو عرش المجر، وقام فعـ.لا فرديناند.د بتنفيـ.ذ خطته واستولى على مدينة بودين وانتزعها من يد الملك يانوش مندوب العثمانيين، فهبت على الفور الجيـ.وش العثمانيـ.ة مـ.ن القسطنطينية والتي بلغ تعدادها حوالى(١٠٠) ألف مقاتل بالتقدم نحو المجر لاستعادة بودين فتم لها ذلك وأعادوا يـ.انوش ملكـ.ا عليها وبعد المعركة فر الملك فرديناند إلى فيينا التي كانت تحرسها حامية تتكون من (٢٠) ألف جندي، أصـ.ر الخليفـ.ة علـ.ى معاقبة فرديناند وصعد العثمانيون إلى فيينا وقاموا بتطويقها بـ.(١٢٠) ألف جندي و (٣٠٠) مدفع لكنهم عجزوا عن فتحهـ.ا،

وتميزت هذه المرحلة بكثرة السلاطين[٣٦] والوزراء والباشوات العثمانيين، الذين برعوا فى فن الخط العربي مثل السلطان سليمان القانوني، والسلطان محمد خان الثالث، والسلطان مصطفى خان الثاني، فمثلا نجد السلطان أحمد خان الثالث كان بارعا فى النسخ والثلث والجلي بخاصة، وقد كتب عدة مصاحف بخطه الجميل، أهدى منها مصحفين شريفين للروضة المطهرة، وتحتفظ دار الكتب المصرية بمجموعتين من أعماله[٣٧] .

ونتيجة لذلك يعتبر الأتراك من أهم الشعوب التى أبدعت فى فن الخط العربي، وكان إبداعا آية فى الجمال، سواء أكان النص المكتوب باللغة العربية أم اللغة التركية أم الفارسية، وقد ظهر ذلك فى كتاباتهم عن قواعد الخط العربى وفنونه ورسمه وجمالياته [٣٨]، كما ظهر فى آثارهم المعمارية و الفنية التى لا تعد، وقد استخدم الأتراك بدايةً كل ما كان معروفاً من صور الخط العربى وفنونه فى ذلك الوقت، فقلدوا الخط الكوفى[٣٩] كما برعوا فى تقليد الأقلام

بيد أنهم ألحقوا خسائر كبيرة بضواحيها والمزارع المحيطة، طلب فردناند من شقيقه الإمبراطور تشارلز المساعه لكنه لم يجب الإستغاثه وبعد ٢٥ يوم انتهى الحصار ودفع الجزية .

(٣٥) بيتر شوجر، أوربا العثمانية (١٣٥٤- ١٨٠٤م)، ص٨١ ؛ أحمد بن مصطفى بطاش زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم، تحقيق كامل كامل بكر وعبدالوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة،ج١، ص١٨، ١٩ ؛ عبدالفتاح عباده، انتشار الخط العربي فى العالم الشرقى والغرب، ص ١١٠، ١١١ .

(٣٦) ونقف إحتراماً وإجلالاً لأولى الأمر ورجال الدولة فى العصر العثمانى، وبخاصة فيما يخص الخط العربى، فمثلا نجد السلطان بايزيد الثانى (٨٨٦هـ / ١٤٨١م) كان يمسك المحبرة لخطاطة الشهير الشيخ حمد الله ، وقد كان هذا الخطاط معلما للسلطان بايزيد الثانى قبل تولية السلطنة، وذات يوم سأل السلطان معلمه – وكان يكن له كل احترام ويحمل محبرته- عما اذا كان من الممكن ابتكار أنماط أخرى من الخط، تختلف عما هو معروف للعرب والفرس، واعتكف هذا الخطاط أربعين يوما ولم يكلم أحدا، إلا بعد ان إبتكر ستة أنماط جديدة، سماها الأنماط السته الجديدة، ونأخذ مثالاً لسلطان آخر وخطاطه وهو الحديث الذى دار بين الخطاط العثمانى "الحافظ عثمان" – الذى كتب بخطه خمس وعشرين مصحفا- والسلطان العثمانى مصطفى الثانى(١١٠٦هـ / ١٦٩٥م) . إذ ذكر أن السلطان مصطفى كان يمسك الدواة للخطاط "الحافظ عثمان" وهو يكتب، وذات يوم تعجب السلطان من براعة الحافظ عثمان فى الخط، فقال السلطان مداعبا له: لا أظن أن حافظاً آخر يأتى بعدك، فكان جواب الحافظ عثمان وبسرعة بديهه: يا سيدى اذا جاء سلاطين يمسكون الدواة لخطاطيهم مثل سلطاننا فسوف يأتى كثيرون مثل الحافظ . أوقطاى آصلانابا، فنون الترك وعمائرهم، ص٣٠٨، ٣٠٩ .

Valad Atanasiu, Op. Cit, p.3

(٣٧) ومنهم أيضا السلطان محمود الثاني (١٧٨٥ . ١٨٣٩) والسلطان عبدالمجيد الأول (١٧٢٣ . ١٨٦١) ويستطيع المرء أن يتأمل نماذج من خطوطهم التي كانوا يفتخرون بها افتخارهم بما كانوا يحفظون من كتاب الله وللمزيد من السلاطين والوزراء والباشوات والعلماء إضافة إلى الخطاطين المتخصصين. أنظر: محمد طاهر بن عبدالقادر الكردى المكى، تاريخ الخط العربى وآدابه، مكتبة الهلال، الطبعة الأولى، ١٩٣٨م، ص٢١٧: ٢٢٣ .

(٣٨) مخطوطة باللغة التركية بدار الكتب المصرية للمؤلف، فيروز القره حصارى أحد الخطاطين الأتراك بعنوان، ميزان الخط منظومة فى أصول الخط وآلاته وأدواته، دار الكتب المصرية، تيمور ٢٣.

(٣٩) وهو الخط العربى فى صورته الجافة قبل تطوره إلى الخط اللين المتأثر بالخط الحجازى والمتأثر بدوره بالخط النبطى قبل الإسلام. محمد عبدالعزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى، ص١٧٤ ١٧٣ .

الستة التى كانت شائعة فى العراق، فى عهد الخليفة المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين فى بغداد، والتى برع فيها الخطاط ياقوت الرومى (والذى عرف بالمستعصمى) نسبة إلى هذا الخليفة[٤٠] وهو الذى كان له أبلغ الأثر فى الخطاطين الأتراك، وهذه الخطوط هى خط النسخ أو الخط الحجازى اللين والخط المحقق[٤١] والثلث[٤٢] وخط التوقيع[٤٣] والريحانى[٤٤] والرقعة.

الدورالثقافى والاجتماعى للخط العربى

لعب الخط العربى فى الدولة الإسلامية عامة والدولة العثمانية التركية خاصة دورا هاما فى مختلف الجوانب والاتجاهات الثقافية والاجتماعية، وقد ساعد على تحقيق هذا الدور بعض النظم التى تميزت بها الدولة الإسلامية، مثل نظام الالتزام الذى يسمح للحاكم المسلم باعتباره ولى الأمر وراعى الفنون أن يستقدم أشهر العلماء والأدباء وأمهر الصناع والحرفيين من مختلف نواحى دولته للعمل فى العاصمة، ومنها أيضا عدم وجود أى حواجز بين أرجاء الدولة الإسلامية، مما يسمح بسهولة التنقل والترحال طلبا للعلم وبحثًا عن الجديد فى مجال الكتاب والتجارة والصناعة من مكان إلى آخر فى سهولة، ومن هنا ضمت الدولة العثمانية ثُلة من

---

(٤٠) يعتبر ياقوت المستعصمى المتوفى ٦٩٨هـ. من أهم الخطاطين الحازقين وقد إستحق عن جداره لقب " قبلة الكتاب " وقد اطلق هذا اللقب أيضا على الخطاط العثمانى "الشيخ حمد الله الأماسى" الذى اتخذ من ياقوت المستعصمى رائدا له فى فن الخط العربى. أوقطاى آصلانابا، فنون الترك وعمائرهم، ص٣٠٧؛ محمد عبدالعزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى، ص١٧٥.

(٤١) ظهر هذا النوع المعروف بالمحقق أى الذى يحقق التناسب والدقة فى رسم حروفه وهو خط النسخ الفنى الذى روعى فى كتابته التناسب بين أجزائه ومن أبرز من اشتهروا بكتابته ثلاثه من أهل العراق هم ابن مقله وابن البواب، وياقوت المستعصمى. محمد عبدالعزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى، ص ١٧٥.

(٤٢) وهو يعتبر الأب أو الجد لكل ما جاء من أنماط الخطوط، وعنه تفرعت كل انواعها، وسمى بالثلث لمقارنة حجمه بحجم خط الطومار الذي يبلغ سمك سن قلمه (٢٤) شعرة من شعر البرزون أي الخيل . محمد عبدالعزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى، ص ١٧٥؛ أوقطاى آصلانابا، فنون الترك وعمائرهم،ص٣٠٩.

(٤٣) أحد الخطوط التي اشتقت من خط الثلث إلا أنه أدق وأصغر قليلا وأكثر ميلا إلى الإستدارة، وسمى بقلم التوقيع أو خط التوقيع حيث حررت به المكاتبات السلطانية. عباس العزاوى، الخط ومشاهير الخطاطين فى الوطن العربى، مجلة سومر العراقية،الجزء الأول والثانى، مج٣٨، سنة١٩٨٢م، ص ٢٨٨،٢٨٩، عبدالرحيم خلف عبدالرحيم، المقومات الفنية والجمالية وتطورها في فن الخط العربي، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس، العدد الرابع والعشرون، القاهرة ٢٠٠٧م.ص٥٦٦-٥٨٩.

(٤٤) وهو يمتاز بتداخل حروفة لا سيما الألف واللام فتداخلهما اشبة ما يكون بتداخل عودين من أعواد الريحان. محمد عبدالعزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى، ص ١٧٥.

أمهر الفنانين وأبرع الأدباء من الفرس والمجر والعرب[٤٥] وغيرهم، ويمكن تناول هذا الدور فى ضوء:

- **الخط العربى واللغة العثمانية والتقارب الثقافى:**

اللغة بشقيها . المنطوق والمكتوب . ظاهرة اجتماعية، تتعلق بكل أفـ.راد المجتمـ.ع، وهى وسيلة إلى صياغة فكرهم وسلوكهم، لأتصالها بقيم المجتمع وأفكاره وتقاليده ومعتقداتـ.ه وكل نشاطاته، ولها ارتباط وثيق بالفكر والثقافة، فالفكر لا يقوم إلا باللغة سواء المنطوقـ.ة أو المكتوبة[٤٦]، وفى ضوء ذلك ومنذ أن دونت اللغة التركية العثمانية[٤٧] بالحرف العربى فـ.ى ظل الحضارة الإسلامية، وهى فى نمو سريع ومطرد، وخاصة بعـ.د أن أصـ.بحت الخلافـ.ة العثمانية حامية هذه الحضارة المترامية، وغالبية العالم الإسلامي تحت مظلتها[٤٨]، شكل(٦). وقد تميزت اللغة التركية العثمانية بأنها تتكون من ثلاث لغات: أحدها اللغة (الجغطائية) أصل اللغة العثمانية. وثانيها: اللغة العربية، التى دخل منها فى التركية حوالى (٥٠%)، وثالثها:اللغه الفارسية[٤٩]، شكل(٩، ١٠، ١١) والتى دخل منها فى التركية حوالى (١٥%)[٥٠] وقد جعلـ.ت الدولة العثمانية من اللغتين العربية والفارسية أهم أدوات الثقافة الرفيعة.

---

(٤٥) لقد سافرـمثلاـ أحد عشر صانعاً قاهرياً أخذوا معهم من القاهرة كميات وافرة من الصوف المصبوغ، على أثر طلب أحـ.د سلاطين الدولة العثمانية وهو مراد الثالث لبعض صناع السجاجيد القاهرية للعمل فى مصانعها، وتشـ.ير السـ.جلات الخاصـ.ة بمسجد الوالدة فى إسطنبول إلى السجاجيد القاهرية التى كانت فى هذا الجامع. عبدالرحمن فهمى، السجاد، بحـ.ث فـ.ى كتـ.اب القاهره تاريخها وفنونها وآثارها، مؤسسة الأهرام، ١٩٧٠م، ص٥٨٥: ٥٨٦ ؛ أوقطاى آصلانابا، فنـ.ون التـ.رك وعمـ.ائرهم، ص٣٠٠ .

(٤٦) محمد حسن عبدالعزيز، مدخل إلى اللغة، دار الفكر العربى، (د.ت)، ص١٠ .

(٤٧) وهى من اللغات الطورانية المنتشرة بتركيا أوربا وتركيا آسيا وروسيا أوربا وروسيا آسيا بتركستان والتركمان والعثمـ.انيين، وأشهر فروعها التى تكتب بالخط العربى هى التركية العثمانية، وهى اللغة الرسمية للحكومة وهى أكثر اللغات التركية تهـ.ذيبا، وانتشارا، إضافة إلى حوالى أكثر من(١٢) لغة تركية أخرى تكتب بالخط العربى. انظر التفصيل: عبـ.دالفتاح عبـ.اده، انتشـ.ار الخط العربي فى العالم الشرقى والغربى، مطبعة هندية بمصر، ١٩١٥م، ص ٣٨، ٣٩

(٤٨) أهتم العثمانيون بإبراز دورهم ومسئوليتهم عن الأمة الإسلامية وعن الدين الإسلامى، وقد رسموا خريطة دولـ.تهم وربطوهـ.ا بأهم المناطق التابعه لهم وبمكة المكرمة مثل الموضحة فى شكل (٦).

(٤٩) ويرجع سبب الظهور الواسع للغة الفارسية فى الدولة العثمانية، أنه أثناء حروب الشاه اسماعيل الصـ.فوى فـ.ر كثيـ.ر مـ.ن خطاطى إيران وعلمائهم إلى تركيا، ومنهم الأمير الكردى إدريس الدين البدليسى عام ٩٠٧هـ. وهو من أكابر العلمـ.اء، حيـ.ث رحب به السلطان بايزيد الثانى وأواه وأكرمه، وبأمر من السلطان ألف تاريخه (هشت بهشت) باللغة الفارسية ويتضمن مناقـ.ب ثمانية سلاطين عثمانيين، كما حصل إدريس الدين على مكانه كبرى فى زمن السلطان سليم الأول بسبب ما قدمه للدولـ.ة مـ.ن خدمات فى رأيه أو قلمه. مصطفى بركات، النقوش الكتابية على عمائر مدينة القاهرة فى القرن التاسع عشـ.ر،مخطوط رسـ.الة الدكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة،١٩٩١م، ص١٩٥، ١٩٦.

(٥٠) عبدالفتاح عباده، انتشار الخط العربي فى العالم الشرقى والغربى، ص ٣٨، ٣٩

وقد ساعد على ازدياد تأثير اللغتين العربية والفارسية فى اللغة العثمانية نفسها، عدة عوامل منها أن العربية كانت لغة الدين، والفارسية لغة الثقافة والأدب بالنسبة للأتراك العثمانيين ويؤكد ذلك نوعية المخطوطات التراثية المتبقية[٥١]. وذلك لإعتماد الأتراك فى الجانب الأدبى والثقافى قبل تأسيس الدولة العثمانية على اللغة والأدب الفارسى، حيث أقام العثمانيون دولتهم على أنقاض دولة السلاجقة، الذين اختلطوا بالفرس وتأدبوا بآدابهم [٥٢]؛ ولذلك فقد تأثرت التركية بالعربية بطريقين: مباشر بالإتصال المباشرة بين العربية والتركية، وغير مباشر لإتصال التركية بالفارسية المتأثرة أصلا بالعربية.

وقد كانت سياسة الرعاية والتشجيع للنسخ والتدوين بالعربية والفارسية، إلى جانب التركية التى اتبعها السلاطين العثمانيين، بديلا عن تغليب اللغة التركية، من الذكاء بحيث أصبحت عامل وحدة وبناء وتقارب بين مختلف المكونات الثقافية للدولة التركية العثمانية الواسعة، حتى لقد كان للأتراك دور كبير فى الثقافة الإسلامية باللغات الثلاثة لا سيما العربية، ومن ذلك– مثلا– الموسوعة التركية الهامة التى كتبت باللغة العربية فى القرن العاشر الهجرى "كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة" "لطاش كبرى زاده"[٥٣] وهى موسوعة فى" تاريخ العلوم الإسلامية"، وترجع أهميتها إلى أنها موسوعة فى تاريخ العلوم، وكتاب ببليوجرافى بل بيوببليوجرافى"Bio-bibliography "، ومصدر يمثل أهم ما وصل إليه علم التصنيف عند المسلمين فى ذلك العصر[٥٤].

- **الخط الفارسي فى الدولة التركية حتى أسرة محمد على**

---

(٥١) أنظر هامش رقم ٧.

(٥٢) عبدالفتاح عباده، انتشار الخط العربي فى العالم الشرقى والغربى، ص ٤٠، ٤١ ؛ خالد عزب وآخرون، شواهد قبور من الاسكندرية ، الإسكندرية، ٢٠٠٧م، ص٥٨ .

(٥٣) هو عصام الدين أبوالخير أحمد بن مصطفى بن خليل الشهير بـ "طاش زاده" وتقول دائرة المعارف اسلامية أن هذه التسمية تطلق على عائلة من العلماء الاتراك وقد استمدت لقبها من اقامتها فى طاش كبرى زادة وهى قرية قريبة من قسطمونى فى الاناضول.

(٥٤) وقد تضمن معلومات ببليوجرافية تبين أهم المؤلفات في كل علم من العلوم التى تعرض لها المؤلف فى عصره، وقد استرشد فيما بعد بتقسيمه بما أطلق عليه عالم التصنيف الإنجليزى "وند هام هلم" "السند الأدبى"؛ فقد عمد إلى التقسيم وتخصيص فروع مستقلة كلما وجد مؤلفات مستقلة فى العلوم. أحمد بن مصطفى (الشهير بطاش كبرى زاده: ٩٤٨هـ)، كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم، مراجعة وتحقيق كامل كامل بكرى وآخرين، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٨،ج١، صـ ٣٣:٣٥.

كانت مدرسة الخط فى القسطنطينية متأثره بمدرسة الخط فى تبريز، وأستمرت التأثيرات المتبادلة بين المدرستين حتى أصبح من الصعب التمييز بين المخطوطات التركية والإيرانية، وقد ساهم فى النهضة الخطية بتركية العديد من مشاهير الخطاطين فى ايران ومصر، وقد كان مثلا ظهور خط التعليق الفارسى بمصر يعد أحد التأثيرات العثمانية بها، ويعد النص التأسيسى الرخامى أعلى مدخل يوسف أغا الحين(١٠٣٥هـ./١٦٢٥م) من أقدم الأمثلة للخط الفارسى فى مصر، ولكن مع وصول محمد على إلى الحكم وحتى نهاية القرن(١٩م) شكلت نصوص الخط الفارسى القاسم المشترك الأعظم للنقوش الكتابية بأنواعها المختلفة بالعمائر المصرية حيث وجدت بالعديد من الآثار المعمارية بالقاهرة مثل مسجد عبدالغنى الفخرى[٥٥]، وبجامع محمد على بالقلعة[٥٦]، وكتاب سليمان أغا السلحدار[٥٧]، وبمسجد الرفاعى بميدان القلعة[٥٨].

- **اللغه التركية بين الشعوب العربية**

بدأ تدوين اللغة العثمانية التركية بالخط العربى فى القرن السابع الهجرى، وأول كتاب دون بالخط العربى فى نحو اللغة التركية وقواعدها هو كتاب "الإدراك للسان الأتراك" الذى ألفه أحد علماء الإسلام فى الأندلس[٥٩]، وقد إهتم بوضعه منذ بداية الدولة العثمانية واستقلالها سنة سبعمائة واثنتى عشرة، ليكون أساسا لقواعد اللغة التركية العثمانية، وقد نُشر فى الأستانة (١٣٠٩هـ)، ونشره أيضا المسيو "لوسين بوقا" من مشاهير علماء المشرقيات الفرنسيين سنة ١٣٢٥ هـ.، وأول من وضع قواعد اللسان العثمانى فى عصر الإصلاح هو "جودت باشا" المؤرخ الشهير[٦٠].

---

(٥٥) انشأت (٨٢١هـ. / ١٤١٨م) .

(٥٦) بدأ العمل به (١٢٤٦هـ. / ١٨٣٠م وأستمر حتى توفى محمد على (١٢٦٥هـ. / ١٨٤٩م) .

(٥٧) أنشأ (١٢٨٦هـ./ ١٨٦٩م) .

(٥٨)مصطفى بركات، النقوش الكتابية على عمائر مدينة القاهرة فى القرن التاسع عشر، ص١٩٦– ١٩٧ ؛ محمد محمد مرسى على، الكتابات الآثارية على العمائر الدينية بمدينة الزفازيق فى عهد أسرة محمد على ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب، قسم الآثار ، جامعة حلوان ، ٢٠٠٩م ، ص ١٣٥ .

(٥٩) وهو أثير الدين محمد بن يوسف المعروف بأبى حيان الأندلسى الغرناطى (توفى فى مصر ٧٤٥هـ.) وهو أحد نوابغ النحو العربى فى القرن الثامن الهجرى له ايضا الأفعال فى لسان الترك ، و زهو الملك فى نحو الترك، ونفحة المسك فى سيرة الترك.

(٦٠) عبدالفتاح عباده، انتشار الخط العربي فى العالم الشرقى والغربى، ص ٤٠، ٤١ .

ولقد كانت المعاجم والقواميس أبلغ الدلائل على وضوح التأثير المتبادل بين العربية والتركية، و على حضور التركية بجانب العربية فى البلاد العربية، وهى عبارة عن ديوان يضم مفردات اللغة مصنفة وفق ترتيب معين[٦١]، وفى المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية بالقاهرة نجد العديد من المعاجم العربية . التركية، منها ثلاثة معاجم عربية تركية شكل (١، ٢) [٦٢] وهذه المعاجم متنوعة الأسلوب والتصنيف.

وقد انتشرت اللغة التركية ذات الخط العربى فى مختلف العواصم والمدن العربية جنباً إلى جنب مع أختها العربية، وسوف نقتصر على بعض الأمثلة للدلالة على ذلك من بعض المدن العربية، منها القاهرة التى تزخرمكتباتها بالمخطوطات المدونة باللغة التركية[٦٣]؛ شكل(١، ٢،٣ ، ٤) وقد دونت بعض النصوص التأسيسية على العمائر الأثرية فى القاهرة باللغة التركية[٦٤]، وفى مدينة الإسكندرية[٦٥] والزقازيق شكل(٥)، وفى مدينة دمشق[٦٦]شكل(٧)، وفى مدينة طرابلس اللبنانية[٦٧] .

---

(٦١) محمد حسن عبدالعزيز، مدخل إلى اللغة، ص ٩٢.

(٦٢) هناك معجم (تركى عربى) ثالث غير ما أشير اليه فى شكل(١، ٢) فى المكتبة المركزية للمخطوطات الرقم العام: ٥٠٣٦ وجميعها لم يسبق نشرها .

(٦٣) تضم المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية –على سبيل المثال– العديد من المخطوطات باللغة التركية مثل، مناسك الحج لنوح بن مصطفى القونوي الحنفى، الرقم العام: ٢٩٧٥؛ ومخطوط تركى فى أعمال الباروت برقم عام (٥٤٠) وغيرها بالإضافة إلى المكتبات الأخرى لا سيما دار الكتب المصرية.

(٦٤) وأقدم كتابة تركية بالقاهرة بضريح إبراهيم خليفة جندبان مؤرخ بعام(١٠٠١هـ /١٥٩٢-١٥٩٣م) النوع هو النص التاسيسى أعلى واجهة سبيل يوسف أغا الحبشى ١٠٨٨هـ /١٦٧٧م، ويوجد أيضا بالنص التأسيسى لسبيل إبراهيم جوربجى مستحفظان ١١٠٦ هـ/١٦٩٤م والنص التأسيسى لسبيل محمد كتخدا ١١٣٧هـ/١٧٢٤م محمود حامد الحسينى، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة ١٥١٧-١٧٩٨، مكتبة مدبولى، ص٣٨٤.

(٦٥) تدلنا الآثار الباقية فى مدينة الأسكندرية على استخدام اللغة التركية بكثرة فى العصر العثمانى حتى القرن ١٩م، ونأخذ لذلك مثالا أن العديد من شواهد القبور فى جباناتها باللغة التركية أو التركية المزدوجة بالعربية حيث نشر حديثا أكثر من (٥٠) شاهد قبر باللغة التركية . أنظر: خالد عزب وآخرون، شواهد قبور من الإسكندرية، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، ٢٠٠٧م، ص١٧٦: ٢٥٩ .

(٦٦) تعددت الآثار التى تضم كتابات باللغة التركية فى مدينة دمشق بسوريا ومن هذه الآثار مسجد سليم الأول (٩٢٤هـ /١٥١٨م)، وجامع درويش باشا (٩٨٢هـ/١٥٧٤م) وجامع سنان (٩٩٩هـ/١٥٩٠م) والتكية السليمانية (٩٦٣هـ /١٥٥٤م) والتكية المولوية(٩٩٣هـ/١٥٨٥م). محمد السيد البسطويسى،النقوش الكتابية الباقية على العمائر الدينية العثمانية بدمشق، رسالة دكتوراة غير منشورة،كلية الآثار، جامعة القاهرة، ص٢٥، ٢٦، ٦٠، ٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٦، ١٧٧.لوحات (٧، ٨، ٩، ١٠، ٤٧، ٧٧، ٢٠٨، ٢٢٤).

(٦٧) يكفى للتدليل على مكانة اللغة التركية، فى مدينة طرابلس ان أرشيف سجلات المحكمة الشرعية بطرابلس يمتلأ بالوثائق باللغة التركية سواء فرمانات أم وقفيات أم غيرها، وخاصة سجل رقم ٧٦، ٧٧.

- **الخط العربى والمجالس العلمية:**

ازدهرت دور الكتب العامة فى مختلف إرجاء الدولة الإسلامية منذ وقت مبكر، ففى عام ٨٩١م بلغ عدد دور الكتب العامة فى بغداد بأكثر من مئه دار، وانتشرت هذه الظاهرة وبدأت كل مدينة تبنى لها دار للكتب يستطيع الجميع استعارة ما يشاءون منها وأن يجلس فى قاعاتها للمطالعة، ويجتمع فيها المترجمون والمؤلفون فى قاعات خصصت لهم يتجادلون ويتناقشون كما يحدث اليوم فى أرقى الأندية العلمية[٦٨] .

ومن هذه المجالس العلمية الصالونات الأدبية، التى انتشرت منذ العصر الأموى، كما أشتهرت القصور والمنازل فى العصر العثمانى وما قبله بهذه الصالونات الأدبية، فقد شهدت مصر فى العصر العثمانى هذه المجالس ومن أشهرها مجالس العلم التى كانت تعقد فى بيت الشرابى والذى اشتهرت مجالسه شهرة واسعة فى عالم العلم والأدب بحيث أن الحديث عن الشعر والنثر والحياة الفكرية والعقلية لهذا العصر لا يكون كاملا ولا وافيا الا بذكر قوم ليسوا من الشعراء ولا من الناثرين " الذين يكتبون النثر " ولا من أهل الفكر بل كانوا تجارا ولكن لهم فى الحياة الفكرية اثرا كبيرا "[٦٩].

ومن هذه المجالس العلمية أيضا مجالس التأليف (الإملاء)، وهى أن يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس فيتحدث العالم بما فتح الله عليه من العلم ويكتب التلامذة فيصير كتابا، ولم يكن يتصدى للإملاء إلا من وثق بنفسه ووثق به الناس وشهدوا له بالعلم والفضل، ونستطيع أن نقول أن هذه المجالس – بمفهوم العصر الحديث– محاضرات عامة فى فروع المعرفة المختلفة وقد وصلت هذه المجالس صورة غير مسبوقة من الضخامة فقد كان مجلس سليمان بن حرب الواشجى (١٤٠– ٢٢٤هـ.) يحضره أربعون ألف رجل، ومجلس عاصم الواسطى (المتوفى ٢٢١هـ.) يضم أكثر من مائة ألف شخص، ومجلس جعفر الفريانى (المتوفى ٣٠١هـ.) يحضرة ثلاثين ألف، ولضخامة هذه المجالس مع عدم وجود مكبرات صوت، ظهرت فى المجتمع فئه جديدة تعرف "**بالمستملين**" وهم الذين يرددون كلمات الأستاذ

([٦٨]) زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص٣٨٥ .

([٦٩]) مرفت محمود عيسى، الطراز العثمانى فى منشآت التعليم بالقاهرة، رسالة دكتوراة غير منشورة كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٧م،

ص٩٥؛ محمود الشرقاوى، مصر فى القرن الثامن عشر، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٥٧م، ج١، ص١٠٠.

وراءه حتى يسمع الناس[٧٠]، وإن كانت هذه الأعداد قد يكون مبالغ فيها إلى حد ما إلا أنها تعبر عن مدى الشغف العلمى غير المسبوق، كما تفسر لنا الأعداد الضخمة من المخطوطات الإسلامية المنتشرة فى المكتبات العالمية.

- **الخط العربى وتطورالمهن المجتمعية بين العرب والاتراك**

ترتبط الإكتشافات الكبرى فى العادة بتغيرات كبيرة فى المجتمع وإستحداث مهن ووظائف جديدة، حدث ذلك قديماً وحديثاً، وقد أدى سرعة الإنتشار غير المسبوق للكتابة بين المسلمين منذ بداية العصر الإسلامى، وإقتناء الكتب ونمو الإهتمام العلمى، وشيوع المكتبات وإكتشاف صناعة الورق، ورواج الإتجار به، وبداية مما ذكره ابن سعد فى الطبقات، أن على بن أبى طالب قام يخطب فى أهل الكوفة فقال: من يشترى علماً بدرهم ؟ فأشترى الحارث الأعور صحفاً بدرهم، ثم جاء بها علياً (رضى الله عنه) فكتب له علماً كثيراً[٧١].

ومع تنامى هذا الإتجاه استحدث فى المجتمع الإسلامى العديد من الحرف والطوائف الجديدة، مثل تجارة الورق التى إزدهرت متأثرة بإتساع التدوين والتصنيف وإقبال الناس المتزايد على الكتابة والإهتمام بالكتب وبالتحصيل العلمى، وعلى توفيرالفئات المجتمعية المتخصصة فى ذلك، من خطاطين ونساخ ومذهبين ومصورين ومجلدين وغيرهم، كما حرص الحكام على توفير الورق، خدمة للعلم والدين. وتذكر المستشرقة الألمانية زغريد هونكه: " أصبحت الكتب هى مطلب كل من يستطيع تحمل نفقات الحصول عليها، وأقبل الناس فى البلاد الإسلامية على إقتنائها بلفهة متزايدة لم يعرف لها التاريخ من قبل مثيلا"[٧٢] .

وقد اتسع هذا الإتجاه الصناعى- التجاري- العلمى حتى أصبحت "حرفة الوراقة" من أهم الحرف فى المجتمع الإسلامى حيث إتسع مدلولها وأًصبحت تشمل صناعة الورق، ونسخ الكتب، والإتجار بها [٧٣]، وقد فتحت هذه اللهفة على إقتناء الكتب الباب أمام مئات الألوف، فأصبح النساخ والخطاطون فنانيين مهرة فى فنهم، ووظف لكل مكتبة أو متجر للكتب عدد من

---

(٧٠) عبدالستار الحلوجى، المخطوط العربى، ص ١٣٨، ١٣٩. الخطيب البغدادى، تاريخ بغداد، القاهرة، مكتبة الخانجى،١٩٣١م، ج٩، ص١٣٨، ابن النديم، الفهرست، القاهرة، المكتبة التجارية، ١٣٤٨هـ.، ص ١٠٣

(٧١) طبقات ابن سعد، ج٦، ص ١٦ .

(٧٢) زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص٣٨٥

(٧٣) ابن خلدون، المقدمة، تحقيق على عبدالواحد وافى، القاهرة ١٩٥٧-١٩٦٠م، ص ٢٦٢ .

هؤلاء[٧٤]، وقد اختلفت دكاكين بيع الكتب عن أسواق العرب فى الجاهلية (أسواق الشعر) التى كانت تعمر فى مواسم خاصة، أما الإجتماعات الثقافية فى دكاكين بيع الكتب فكانت يومية[٧٥].

ونتيجة هذا التطور ظهرت طائفة فى المجتمع عرفت باسم الوراقين، واشتغل بها عدد كبير من أعلام الحفاظ والنحاة والمؤرخين والعلماء والأدباء، مثل ابـ.ن الند.يم (٤٣٨هـ.) وطاش كبرى زاده التركى(٩٤٨هـ.)، واشترك معهم فى هذه الحرفة المشـ.تغلون بصـ.ناعة الأحبار والأقلام وأدوات الكتابة والخطاطة والتجليد، كما جذبت هذه الحرفة التجار وأصحاب رؤوس الأموال[٧٦] .

وكانت مهنة " الخطاطة " والخطاطون من أهم المهن المرتبطة بمهنة الوراقة، وكان لهم شهرة كبيرة، وصار الخطاطون يوقعون على أعمالهم للرفع من قيمتها، ومما يدل على ذلـ.ك الدور الهام الذى لعبه الخط العربي منذ بداية العصر الاسلامى، لاسيما وأن دور هـ.ذا الخـ.ط ظل يرتقي ويتبلور حتى بلغ مرتبة رفيعة من الأداء الفني، وأصبح عاملاً مشتركا في معظـ.م الفنون والعمارة الإسلامية، إضافة إلى المخطوطات، ويصف ذلك العالم السويسرى فلورى[٧٧]: "ان الخط العربى استخدم فى زخرفة المبانى الدينية والدنيوية، حتى أصبح عاملا مشـ.تركا فى كل ما أخرجته أيدى العثمانيين من عمائر مشيدة أو تحف مصنوعة من الخزف أو الخشب أو المعدن أو القماش[٧٨]، إضافة إلى المخطوطات، وأطلقوا على هذه الزخارف الكتابية اسـ.م جفتكارى (Guftkari) أى الزخرفة المتكلمة أو الناطقة".

كما إرتبطت مهنة الخطاطة بمهنة التصوير والزخرفة، وهى المرحلة الثانية من مراحل إعداد المخطوط أى بعد مرحلة التدوين، ويمكن القول انه قبل حلول القرن (٥هـ./١١م) وجدت الكتب المصورة، ووجد لها معجبون يحرصون على إقتنائها، حتى ظهرت فى المجتمع العربى طبقة جديدة هى طبقة المصوريين أو المزوقين تمارس عملها فى الكتب وفى غيرها، وبلغـ.ت

---

(٧٤) مسعود بوبو، من تاريخ اللغة العربية، بحث فى مجلة دراسات تاريخية،جامعة دمشق، عـ.دد (٥٥-٥٦)، ١٩٩٦م، ص ٥٣-٥٨

(٧٥) أحمد جاب الله شلبى، التعليم والتربية عند المسلمين، بحث فى كتاب دراسات فى الحضارة الإسلامية بمناسبة القرن الخـ.امس عشر الهجرى، مج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٥م، ص٦٥

(٧٦) زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص٣٨٥ .

(77) Flury S., ornamental Kufic on pottery , survey of Persian art , Vol. II, p.1769.

(٧٨) محمد عبدالعزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى، ص ١٨٧.

تلك الطبقة من الكثرة ومن إهتمام الناس بها إلى حد أن صنفت الكتب فى أخبارها، وأشار ابن النديم إلى هذه الطبقة، كما أفرد المقريزى كتابا بعنوان: "ضوء النبراس وأنس الجـلاس فـى أخبار المزوقين من الناس " الذى يتناول طبقات المصورين وهو ما يدل علـى أهميـة هـذه الطبقة" [٧٩].

وقد وصلت طبقة المصوريين فى العصر العثمانى درجة كبيرة من التطور والإزدهار، ولم يقتصر المصورون فى العصر العثمانى على تصوير حياة السلاطين، بل تناولوا فى جانب كبير من صور مخطوطاتهم الحياة العامة مثل التجار وأصحاب الحرف والمهـرجين الـذين يدخلون بألعابهم وأعمالهم السرور على نفوس الناس، وهو جانب هام من جوانـب التصـوير الإسلامى، ومن هذه الصور الهامه فى مخطوط المهرجان (محفوظ فى مكتبة متحف طوبقا بو، ٩٩١هـ)، ثلاثه تمثل نقابة النساجين وهى تسهم فى الإحتفال الخاص (بختان ابـن السـلطان مراد)، والرابعة تمثل اشتراك الرعاة مع أغنامهم فى موكب الاحتفـال، وهذاك صـورتان توضحان صناعة الزجاج[٨٠].

ومن الطوائف المرتبطه بالخط والمخطوط طائفة المذهبيين، وكان التذهيب هو المرحلة الثالثة التى يمر بها المخطوط، بعد مرحلتى الكتابة والتزيين بالصور والرسوم، وكانت وظيفة المذهب مكملة لعمل الخطاط والرسام، ويعتبر فن التذهيب أرفع فنون الكتاب بعد تجويد الخط [٨١]، وقد أقبل كثير من العلماء والفقهاء والأمراء على تعلم فن التذهيب علـى أيـدى أعـلام الإختصاصيين فيه، وعنى الأمراء والأغنياء بمد المذهبين بما كـانوا يحتـاجون إليـه فـى صناعتهم، من المواد الثمينه كالذهب وحجر اللازورد والورق الفاخر، حتى وصل التذهيب إلى مستوى منقطع النظير، وخاصة فى العصر العثمانى، حيث كانت الصفحات الأولى أو صفحات العناوين وهوامش صفحات المخطوطات ذات زخارف مذهبة فى غاية الأبداع، وتكشف هـذه الأمثلة عن تناسق وإنسجام فى الألوان ووقار وإحترام فى التصميمات حتـى أن الانسـان لا

([٧٩]) عبدالستار الحلوجى، المخطوط العربى، مكتبة مصباح، الطبعة الثانيـة، المملكـة العربيـة السـعودية، ١٩٨٩م، ص ٢٢٩؛ المقريزى، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٢، ص ٣١٨

([٨٠]) محمد عبدالعزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى، ص ١٨٧، ٣١٨

([٨١]) عبدالستار الحلوجى، المخطوط العربى، ص٢٥٨.

يدركه ملل مهما طال نظره إليها، وقد قدم فن التذهيب خدمات رائعة من خلال ما أتاحة للكتب من مذاق شهى حرك رغبة الناس دائما للقراءة والإقتناء[٨٢] .

ومن هذه الطوائف ايضا التى ظهرت وازدهرت مرتبطة بإنتشار الخط العربى وتـ.ألیف الكتب طائفة المترجمين، وتشمل المختصين بالترجمة والمراجعة والتصحيح، ويعـ.د الخليفـ.ة العباسى هارون الرشيد الذى دعا إلى بلاطه المتعلمين ومتقنى مختلف اللغات وعهـ.د إلـ.يهم بترجمة كثير من الكتب العلمية، كما أسس المأمون ما يمكن أن نسميه أكاديمية الترجمة فـ.ى (دار الحكمة) [٨٣]، وتبعه فى أعماله خلفاؤه من بعده[٨٤] وممن أشتهر بالترجمـ.ة حنـ.ين بـ.ن إسحاق العبادي (ت ٢٦٤ هـ.)، والفيلسوف الكندي (أبو يوسف يعقوب ابن إسحاق) المشهور بالتبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية (ت، ٢٥٥هـ.)، وقـ.د نمـ.ت وتطـ.ورت طوائف المترجمين نموا كبيرا فى العصر العثمانى، ليشمل الترجمة بين لغات العالم الإسلامى، وبخاصة اللغات الثلاث العربية والفارسية والتركية، والتأليف أيضاً باللغات الثلاث وقد يكون هناك كتاب يضم لغة واحدة أو لغتين، وقد كثرت المعاجم بين اللغة التركية والعربية، شـ.كل (١، ٢) والكتب المترجمة من العربية إلى التركية[٨٥].شكل (٣، ٤).

ولا يمكننا ان نهمل الحديث عن طائفة المجلدين عند الحديث عن الفنون المرتبطة بالخط والمخطوطات، فمن خلال آلاف المخطوطات الإسلامية التى تذخر بها مكتبـ.ات العـ.الم ذات التجليد الرائع فى مختلف العصور الإسلامية، يمكن أن ندرك أهمية هذه المهنه وعظم دورها وكثرة انتاجها، ومدى تشجيع الحكام لها فى العصور الإسلامية المختلفة، فلم يكد يبلغ القـ.رن الرابع الهجرى مداه حتى كانت صناعة التجليد قد بلغت مبلغاً عظيما من التقدم[٨٦]، وقد وصل

---

(٨٢) اوقطاى آصلانابا، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد محمد عيسى، استانبول ١٩٨٧م، ٣١٤ .

(٨٣) لم تكن دار الحكمة مجرد مخزن للكتب بل كانت منتدى للعلماء وقاعة بحث للدارسين، وكانت إلى جانب ذلك مركزا لترجمة الكتب ونسخها ضمت كثير من المترجمين والنساخين ولا نكون مبالغين إذا قلنا انها كانت مسرحا لأكبر حركة ترجمة غيـ.ر مسبوقة فى التاريخ العربى. عبدالستار الحلوجى، المخطوط العربى، ص ٩٩.

(٨٤) زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص٣٧٩ .

(٨٥) وقد ترجمت الكثير من الكتب من العربية إلى التركية والعكس، وذلك فى مختلف الموضوعات فمثلا من الموضوعات الدينيـ.ة والتاريخية المترجمة من العربية إلى التركية فى المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية بالقاهرة، مخطـ.وط "شـ.رح تـ.اريخ الطبرى" وهو برقم عام (٢١٣٢) بالإضافة إلى المخطوطات العلمية مثل موضوع "تسهيل الميقات فى علم الأوقـ.ات" انظـ.ر: شكل(٣) وموضوع " أعمال الباروت" والباروت هو البارود . شكل (٤) .

(٨٦) عبدالستار الحلوجى، المخطوط العربى، ص ٢٤٥.

المجلدون فى العصر العثمانى درجة كبيرة من الدقة والإبداع من ناحية والكثرة والإنتشار من ناحية أخرى، ويعتبر القرنان (١٥، ١٦م) أزهى مراحل تطور التجليد عند الأتراك، مما جعل الفرس يقلدون التجليد التركى، حيث حظى الغلاف، باطنا وظاهرا، بزخرفة رائعة ومتوافقة مع فن التذهيب[٨٧].

وقد أصبح للخطاطين وللكتاب فى العصر العثمانى نقابة وطوائف خاصة بهم، سواء فى العاصمة أو فى المراكز التابعة لها، فمثلا قدم لنا المؤرخ الجبرتى صورة عن طائفة الخطاطين فى مصر، فيقول:" ولما توفى شيخ المكتبيين " الخطاطيين" المرحوم اسماعيل الوهبى(توفى، ١١٨١هـ)[٨٨]، عين حسن أفندى الرشيدى الرومى شيخا بإتفاق منهم لما أعطى من مكارم الشيم وطيب الأخلاق وتمام المروءة وحسن تلقى الواردين وجميل الثناء عليه من أهل الدين، ولم يزل شيخا ومتكلما على جماعة الخطاطين وعميدهم الذى يشار إليه[٨٩] ".

ولقد إرتبط بطائفة الخطاطين أيضا طائفة الشعراء[٩٠] وخاصة فى العصر العثمانى، إذ كان يكلف أحد الشعراء لنظم أبيات من الشعر الموافقة للتسجيل على اللوحات التأسيسية لتؤرخ للمبنى أو تؤرخ لتأريخ وفاة صاحب المبنى، إذا كان النص سيوضع على تركيبة للدفن ويرسل إلي الشاعر بالتاريخ المراد إثباته، وهناك الكثير من الشعراء الذين اشتهروا بكتابة النصوص التأسيسية(للعمائر الأثرية) بحساب الجمل[٩١] وهذه الخطوة تسبق ما يقوم به الخطاط فى أثناء

---

(٨٧) اوقطاى آصلانابا، فنون الترك وعمائرهم، ص ٣١٤ .

(٨٨) ويصف الجبرتى وفاته بقوله:" ومات الأجل المبجل ، المجيد الضابط الماهر ، إسماعيل بن عبدالرحمن الرومى الأصل، ثم المصرى ، الملقب بالوهبى ، شيخ الخطاطين بمصر ، كتب الخط ، وجوده وبرع واجتهد، واشتغل قليلا بالعلم ، وكتب بيده المصاحف مرارا ، وأما نسخ الدلائل والاحزاب والأوراد السبعة ، فمما لا يحصى ، وكتب عليه غالب من بمصر من أهل الكتابة ، وكتب عدة ألواح كبار وتوجه بها بإشارة بعض أمراء مصر إلى المدينه المنورة ، فعلقها فى المواجهة الشريفة بيدة". الجبرتى (عبدالرحمن بن حسن ت: ١٨٢٤)، تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والاخبار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٤ أجزاء، ج٢، ص ٦٠٣ .

(٨٩) الجبرتى (عبدالرحمن بن حسن ت: ١٨٢٤)، تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والاخبار، ج٤، ص ٣٢٤.

١١٧؛ هند على حسنى منصور، طوائف المعمار فى مصر من الفتح العثمانى حتى نهاية القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ص ٢٣٤-٢٣٦ .

(٩٠) هند على حسنى منصور، طوائف المعمار فى مصر من الفتح العثمانى حتى نهاية القرن التاسع عشر، ص ٢٣٤-٢٣٦ .

(٩١) هو أسلوب للتعبير عن التاريخ الحسابى بالحروف العربية سواء فى صورة كلمة أو جملة أو بيت شعرى على أساس القيمة الحسابية للحروف العربية (أ=١، ب=٢، ج=٣ .....)

عمل اللوحات التأسيسية للمبانى، وفى تنفيذ الزخارف الكتابية التى تزخرف جدران المبنى أو سقفه، سواء كانت تلك الكتابات منفذة على الأخشاب أو الرخام أو الأحجار، فضلا عن شواهد القبور والتركيبات الرخامية واللوحات الفنية.

ومن أهم الطوائف المؤثرة فى إزدهار ورواج مهنة الوراقة والخطاطة مهنة " الدلالون" (وهم الوسطاء بين العلماء والأدباء والخطاطين وتجارالكتب والأعمال الفنية المرتبطة بها)، الذين كانت مهمتهم البحث عن الكتب النادرة وشـراءها وبيعهـا، فكـانوا يجوبـون المـدن ويزورون كل تاجر للبحث عن النادر منها للإطلاع على آخر ما أنتجه الفكر العربـى تأليفـاً وترجمةً وتصويراً (زخرفة الكتب بالصور)، فكانوا همزة الوصل بين العلماء والأدباء وتجار الكتب فى العالم الإسلامى[٩٢]، وهكذا أصبحت تجارة الكتب وقيام متاجر الكتب كمراكز ثقافية، تماما مثل الصيدلة، هدية قدمها المسلمون للبشرية حيث لم يعرف تاجر الكتب كوسيط لنقـل الثقافة قبلهم[٩٣].

وقد تبادلت مختلف هذه الطوائف الخبرات والابتكارات، كما سبقت الإشارة فى إطـار نظام الإلتزام السابق الإشارة اليه، مما سمح بانتقال الكثير من أمهر الصناع والحرفيين مـن مختلف الطوائف السابقة، سواء كانوا خطاطين أم مذهبين أم مترجمين أم شعراء.. الخ إلـى عاصمة الخلافة مع عدم وجود حواجز بين جميع انحاء الأمة، إضافة إلى النزاعات وأثرهـا فى هجرة الفنانين والصناع من مكان إلى آخر كما حدث-على سبيل المثال- نتيجـة للغـزو المغولى.

اللوحات الفنية للخط ودورها الثقافى والفنى:

ونستطيع أن نستكمل الصورة الخاصة بالخط العربى، فى ضوء مجموعة من اللوحـات الفنية ودورها الثقافى والإجتماعى والفنى، من خلال تعدد فئات الفنانيين الذين شـاركوا فـى

---

(٩٢) من ذلك أن أحد هؤلاء الدلالين قد سافر من بغداد إلى القاهرة ليشترى من مصر النادر من الكتب، بعد أن سمع بطبيبها الشهير ابراهيم بن الصوفان الذى كان يوظف عددا من النساخ، ويشرف عليهم حتى صار عنده كنز من الكتب الطبية وغيـر الطبيـة، وقد إستطاع هذا الدلال بعد جهد أن يتصل بالطبيب، وقدم التاجر له عرضاً مغريا لشراء عشرة آلاف مجلد من كتبـه، وقـرر الطبيب الموافقة على ذلك العرض إلا أن الوزير الافضل ساوم الطبيب على هذه الصفقة، وحصل عليها بدل الدلال العراقـى، وهو ما يوضح شدة المنافسة على هذه الكنوز. زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص٣٩١ .

(٩٣) زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص٣٩٠.

عمل هذه اللوحات، سواء الخطاطون أو الفنانون(حيث أحتوت اللوحات على عناصر زخرفية وفنية عديدة) أو المذهبون أو الشعراء والنجارون، فمن الناحية الثقافية والاجتماعية كانت هذه النماذج من الخطوط تتضمن عبارات دينية كالبسملة وبعض الآيات القرآنية شـ.كل (٨، ١٣، ١٤) وأحاديث النبي صلي الله عليه وسلم والحكم والمواعظ، ومن ثم كان الدين والفن يمتزجان فيها في وحدة جميلة، وكان الخط مفعم بعاطفة دينية تزيد من قيمته الفنية.

وقد كان ذلك أهم أسباب رواج هذه اللوحات، وأقبال الناس علـ.ى شـ.رائها . كبيرهـ.ا وصغيرها . إذ تنافسوا فى الحصول عليها، وبخاصة إذا كانت من عمل كبـ.ار الخطـ.اطين، وذلك لأغراض متعددة مثل أن يهبوا الكبير منها للمساجد ودور العبـ.ادة لتـ.زيين جـ.درانها، والاحتفاظ بالصغير منها لكى يزينوا به قاعات قصورهم ومنازلهم[٩٤].

وفى ضوء ذلك نشطت تجارة هذه اللوحات، حيث كان هواة الفنون يحرصون علي جمـ.ع نماذج الخطوط الجميلة، ويبذلون في سبيل ذلك ما يتطلبه من جهد ومال، ويحافظون عليهـ.ا بإعتبارها من أثمن ممتلكاتهم الفنية، وأن أقل أثر من خط جميل من عمل خطاط ذائع الصيت كان يعتبر تحفة فنية يتسابق ذو الذوق للحصول عليها، كما كان العمل الأدبي مـ.ن منظـ.وم (شعر) ونثر يزداد في قيمته حين يدون بخط جميل شكل(١٠، ١١، ١٢)، حيث يصبح عملاً فنيا تزيد فيه القيمة الفنية للخط أكثر من قيمة العمل الأدبي، بل قد تطغى أحيانـ.اً علـ.ي مـ.ا يتضمنه من معاني وأفكار، وبهذا لا يصبح الخط مهمته التسجيل بـ.ل أيضـ.اً إنتاجـ.ا فنيـ.اً عظيما[٩٥].

وقد كان **للخطاطين** العرب والأتراك فى العصر العثمانى[٩٦] الفضل فى إبتكار العديد مـ.ن الخطوط، مثل الخط الديوانى[٩٧] والديوانى الجلى[٩٨] والطغراء وهو قمـ.ة مـ.ن قمـ.م الخـ.ط

---

(٩٤) محمد عبدالعزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى، ص ١٧٨

(٩٥) محمد عبدالعزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى، ص ١٧٨

(٩٦) عباس العزاوى، الخط العربى فى تركيا، مجلة سومر، بغداد، عدد ٣٢، سنة١٩٧٦م، ص٣٩٢ ؛
Ugur Derman M., The art of Calligraphy in Ottoman Empire, FSTC Limited, Manchester, 2007; Ananda Coomaraswamy, Arabic and Turkish Calligraphy, Bulletin of the Museum of Fine Arts,Boston,Vol. 27, No. 162 (Aug., 1929), pp. 50-57.

(٩٧) أول من وضع قواعده هو الخطاط إبراهيم منيف تركي في عهد السلطان العثماني محمد الفاتح الثاني بعد فتح القسـ.طنطينية ٨٥٧هـ./١٤٥٣م) ببضع سنوات، وتمتاز حروف هذا الخط بالإنسيابية والرشاقة، وميل الحروف وامتدادها باستدارة إلى أسـ.فل خط الكتابة، وترتيب كلمات السطر كله بميل جهة اليسار مما يعطى مظهر الانطلاق. محمد عبـ.د اللطيـ.ف زاهـ.د، الوظيفـ.ة

العربي[٩٩] والغبار[١٠٠] والرقعة[١٠١]، وبلغ كثير من الخطاطين فى العصر العثمانى في مجال الخط مهارة تدعو إلى الدهشة، وحققوا أعمالاً تبلغ حد الإعجاز فى الجمال والإبداع، وذلك مثل كتابة جميع القرآن الكريم على لوحة واحدة، أو تدوين بعض الآيات الكريمة على حبة أرز أو قمح أو تشكيل الكلمات والعبارات على هيئة كائنات حية[١٠٢].

العناصر الجمالية فى هذه اللوحات

وقد تضمنت هذه اللوحات الفنية عدة عناصر من أهمها:

١-الخطوط

وقد تميزت هذه اللوحات بالعديد من القيم الجمالية والتشكيلية، مثل تعدد الخطوط فى اللوحة الواحدة، شكل(٨، ١١، ١٢) والقدرة على الإمتداد رأسيا وأفقيا بحرية، شكل(٩، ١٢)، والمطاطية وقابلية الضغط والتقويس أو التدوير، شكل(١٢) وأمكانية التحكم فى السمك وزيادته وتدرجه، شكل (٨، ٩، ١٢، ١٤)، بالأضافة إلى التوازن والألوان[١٠٣].

ومن اهم الخطوط التى زينت هذه اللوحات خط الثلث[١٠٤] شكل (٧، ١٢، ١٤)، وهو الأصل لما جاء من بعده من انماط الخطوط الجميلة، وعنه تفرعت كل انواعها، وقد ساعد

التشكيلية للخط العربي في العمارة الداخلية بالعصر المملوكي، رسالة ماجستير، كلية الفنون الجميلة، جامعة حلوان،١٩٨٦ص ٣٦؛ مايسة محمود داود، الكتابات العربية على الآثار الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولي، يناير ١٩٩١م، ص.٦٢.

(٩٨) يمتاز هذا الخط عن الخط الديواني العادي بسمكه ورصانته، وبأنه قد أضيفت لحروفه حركات إعرابية ونقط زخرفيه .

(٩٩) نوع من خط الثلث متداخل يرسم علي هيئة كف اليد أوعلي هيئة طائر يتحفز للطيران، أختير ليكون توقيعاً للسلاطين، يختمون به أوامرهم ويحفرونه علي عملة دولتهم النقدية . محمد على حامد بيومى،الطغراء العثمانية، رسالة ملجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٥م ؛ مايسة محمود داود، الكتابات العربية، ص٦٤؛ حسن عبدالمجيد المعايرجي، الطغراء قمة الجمال في الخط العربي، مجلة الدوحة، العدد ١٢٣، سنة ١٩٨٦م، ص١١٦، ١١٨.

(١٠٠) وهو خط النسخ الصغير، وسمى بقلم الغبار لدقة حروفه كما سمى بقلم (الجناح)، لأنه كانت تكتب به الرسائل التي تنقل بواسطة الحمام الزاجل، كما أستخدم الأتراك هذا الخط للكتابة على الأشياء الصغيرة مثل بيض الدجاج أو فى كتابة المصاحف الصغيرة، التي توضع فى علب الذهب والفضة للتبرك. مايسة محمود داود، الكتابات العربية، ص٦٤ .

(١٠١) وهو من خطوط المدرسة التركية، يمتاز هذا الخط بأن حروفه قصيرة تميل إلى التدوير ويغلب عليها الطمس فى بعض الحروف، مايسة محمود داود، الكتابات العربية، ص٦٤

(١٠٢) حسن الباشا، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، ص٣١٩، ٣٢٠.

(١٠٣) عبدالرحيم خلف عبدالرحيم، المقومات الفنية والجمالية وتطورها في فن الخط العربي،.ص٥٦٦-٥٨٩

(١٠٤) انظر هذا البحث هامش رقم ٤٠.

على ذلك حجمه الكبير مما جعله مناسباً لكتابة عناوين الكتب والعبارات الدعائية، كالبسملة التى تبدأ بها كل الأعمال، ولا يعتبر الخطاط خطاطاً إلا إذا اتقن هذا النوع وأجاده إجادة تامة على قواعده المخصوصة[١٠٥]، ويتميز سن قلم الثلث بقطة مائلة مشطوفة، لكي تساعد الخطاط على تحقيق تغيير تخانات الحروف، بحيث يبدأ الحرف وينتهي بشكل رفيع، مما يضفي عليها نوعاً من الجمال والتنغيم، ويمتاز ايضا بأمكانية التداخل والتركيب.

كما كثر استخدام خط التعليق فى هذه اللوحات شكل (٨، ٩، ١٠، ١١)، والذي ربما يعود أول ظهوره إلى القرن ١٢م، ثم بلغ نضجه على يد مير على التبريزى، وقام بتحسينه عماد الدين الشيرازي، وقد انتشر على يد العثمانيين وارتفع الى مرتبة عالية، حتى عرف باسم " التعليق التركى"، ويعتبر محمد اسعد يسارى، أحد أساتذة التعليق فى القرن ١٨م، والذى تملأ كتاباته جنبات استانبول وخاصة لوحاته الفنية، كما سار على طريقته الابن يسارى زاده والتلميذ عزت مصطفى فارتفع خط التعليق إلى مرتبة عالية، وأصبح خط التعليق هو الخط المفضل بين أهل العلم، وكانت تكتب به الأعمال الأدبية وأشعار البلاط، وكانت الكتابة على العمائر تكتب بالثلث أو النسخ حتى القرن ١٨م، ومنذ ذلك التاريخ بدأت تكتب بالتعليق الجميل، مثل هذه اللوحات موضوع البحث، اضافة إلى العمائر وشواهد القبور، لما تتميز به حروف خط التعليق من الرصانة والإسترسال، وحروفه ذات تخانات منغمة تتنوع من الشكل الرفيع إلى السمك، مما يدل على أن قلم التعليق يشابه قلم الثلث[١٠٦] فى الجمال والأبداع.

٢-الألوان

وقد تميزت الألوان فى هذه اللوحات بعدة دلالات جمالية أهمها: ١- أدراك المسلمون للأثر النفسي للألوان منذ وقت مبكر، فنجد فى كتاب "مفرح النفس"[١٠٧] أن الألوان منها بسيط

---

(١٠٥) وقد ازدهر خط الثلث وأنواعه فى العصرين الأيوبي والمملوكي إضافة إلى العصر العثمانى، فقد تطور في القرن السابع الهجري "الثالث عشر الميلادي" على يد ياقوت المستعصمي"ت:٦٩٨هـ." الذي لقب "بقبلة الكتاب"، للدور الكبير الذي قام بتحسين وتطوير الخط، وقد تتلمذ على يديه عدد من الخطاطين الممتازين. مايسة محمود داود، الكتابات العربية على الآثار الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولي، يناير ١٩٩١، ص٥٨.؛ عبدالرحيم خلف عبدالرحيم، المقومات الفنية والجمالية وتطورها في فن الخط العربي،.ص٥٦٦-٥٨٩ .

(١٠٦) عبدالرحيم خلف عبدالرحيم، المقومات الفنية والجمالية وتطورها في فن الخط العربي،.ص٥٦٦-٥٨٩ ؛ عبد الفتاح عنيمة: الزخرفة وأسس تنمية المهارات الفنية، موسوعة التواصل الحضاري، دار الفنون العلمية بالإسكندرية، ١٩٩٥م، ص ٣٦ ؛ اوقطاى آصلانابا، فنون الترك وعمائرهم، ص ٣١١

(١٠٧) المؤلف معاصر للسلطان صلاح الدين الايوبى، القرن ٧هـ./١٣م.

ومركب، فالبسيط عند بعضهم لونان الأبيض والأسود، وجميع الألوان مركبة منهما على قدر اختلاف أجزائها، وعند بعضهم أربعة ألوان الأبيض والأسود والأحمر والأصـ.فر، فـ.النفس تبتهج بما كان من الأجسام له اللون الأحمر والأخضر والأصفر والأبيض والنظرإليها يوجب راحة النفس ولذة القلب وسرور العقل ونشاط الذهن وتوفر القوى وانبساط الروح[١٠٨].

٢) العمـ. .ق: وقد أدرك فنانو العصر الإسلامى منذ وقت مبكر أن هناك ألوان تعبـ.ر عـ.ن العمق، وأخرى تعبر عن التسطح، ويدل على ذلك المنافسة التي تمت بـ.ين مصـ.ورين فـ.ي العصر الفاطمي[١٠٩]، فيها تحدى أحدهم برسم فتاه وهى تدخل الجـ.دار، والآخـ.ر تحـ.داه أن يرسمها وهى تخرج منه، واستطاع أحدهما أن يصور الفتاة كأنها داخلة فى الجدار وذلك بان رسمها بثياب بيضاء على أرضية باللون الأسود، أما الثانى فقد صورها كأنها خارجـ.ه مـ.ن الجدار، وذلك بان رسمها بثياب حمراء على أرضية باللون الأصفر، ولذلك يلاحظ المدقق فى اللوحات الفنية الكتابية، مدى الانسجام والتوافق بين الألوان الساخنة والباردة والألوان الثقيلـ.ة والخفيفة وألوان العمق والتسطح.

ويتضح إدراك الفنانين لقواعد الألوان، مثل ظاهرة التسطح والعمق للألـ.وان (الفاتحـ.ة والقاتمة)، فالألوان الغامقة(القاتمة) توحى بالعمق، ومن خلال هذه اللوحات نجـ.د أن الفنـ.انين أتخذوا الألوان الفاتحة لعناصر الخط والعناصر الزخرفية ومعظمها منفذة باللون الذهبى، وهى توحى بالتسطح، كما تنوعت الأرضيات، ولكن يربط فيما بينها أنها قاتمـ.ة(غامقـ.ة) فمـ.ثلا شكل(٩، ١١) ذات أرضية باللون الزيتى القاتم، وفى شكل(١٠، ١٤) بنى قاتم، وشـ.كل(١٢، ١٣) أزرق غامق.

٣) الثراء: فقد كثر استخدام الألوان الدالة على الثراء والفخامة مثل اللون الذهبى والفضـ.ي والأخضر والأحمر والأسود وغيرها.

٣-الإطـ. . .ارات

---

(١٠٨) بشر فارس، سر الزخرفة الاسلامية، مطبعة المعهد الفرنسى للاثار الشرقية ١٩٥٢م، ص٣٨ .

(١٠٩) حسن الباشا، التصوير الاسلامى فى العصور الوسطى، مكتبة النهضة المصرية،١٩٥٩م، القاهرة، ص٧٧.

وقد تنوعت الإطارات تنوعا كبيرا شكل(٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣) وتنقسم إلـى إطـارات خارجية؛ وهى منفذة بطريقة التطعيم بالعاج والصدف داخل الخشب على شكل خطوط متكسرة (زجزاجية)، وإطارات داخلية وعناصرها من الزخارف النباتية (الرومى) التى كثر استخدامها فى العصر العثمانى والقرنين الثامن عشر والتاسع عشر مثل الزخـارف المتـأثرة بطـراز الباروك، وعناصرها تتكون من الأصداف والقواقع والشماعد والأوراق المعقوفة، والمـراوح النخيلية وقرون الرخا، اضافة الى الجامات(١١٠).

والنتيجة التى نخرج منها من هذه الورقة البحثية، أن هذه المادة السائلة المرنة الطيعـة والمتمثلة فى (المداد)، قد قامت بدور الواسطة الكميائية فى تحويل المادة الروحية والفكريـة والعاطفية، المتمثلة فى التعاليم الدينية والنواحى الفكرية والثقافية والفنية والأحاسيس الإنسانية المشتركة والمتكاملة، للشعوب الإسلامية وبخاصة الشعبين العربى والتركى، إلى مادة صـلبة ملموسة لا تقبل الإختلاف على أهميتها، عبارة عن تراث ضخم بلغات متنوعـة ومشـتركة ومتقاربة، وبأبجدية واحدة وثقافة واحدة، وهذا المادة التراثية الناتجة عن هذا التفاعل الذى أخذ مئات السنيين حتى ينضج، يحتاج إلى إستراتيجية واعية لتحليلـه وإعـادة تشـكيله وتفعيلـه وتوظيفه بما يخدم الشعبين الكبيرين بخاصة والأمة بوجه عام.

الأشـــــــــــــكال

شكل ١ : صفحة من مخطوط بعنوان معجم (تركى _عربى)، المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية، الرقم العام :٢٣٧، القياس : ١٦ × ١١سم . لم يسبق النشر.

شكل ٢ : صفحة من مخطوط ، عنوان الغلاف : قاموس فى اللغة التركية، المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية، الرقم العام : ١٣٧٩ ، تاريخ النسخ : ١٠٩١ هـ. ، القياس : ٢١ × ١٥.٥ سم ؛ عدد الأوراق ،١٠٦. لم يسبق النشر.

(١١٠) سعاد ماهر، الخزف التركى،الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ١٩٧٧م، ص ١٢٥، ١٢٦.

شكل ٣ : صفحة من مخطوط عربى تركى، بعنوان: تسهيل الميقات فى علم الأوقات، المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية، الرقم العام : ٤٧٥٩؛ المؤلف: مصطفى بن على القسطنطينى تاريخ الوفاة : ٩٧٩ هـ.، عدد الأوراق : ٣٦

الملاحظات، المؤلف ولى التوقيت بجامع السلطان سليم العثمانى فرئيسا للمنجمين وذلك ما ذكر فى مقدمة المخطوط . لم يسبق النشر.

شكل ٤ : صفحة، مخطوط باللغة التركية فى أعمال الباروت، المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية، الرقم العام : ٥٤٠ ؛ اسم الناسخ ، محمد طيفور بن حسن ابن عبد الفتاح جسكزكى تاريخ النسخ : ١٢٤٨ هـ. . لم يسبق النشر.

شكل ٥ : لوحة تأسيسية باللغة العربية والتركية، مسجد على اغا بمدينة الزقازيق بمصر، سنة ١٣٢٩هـ. ، وقد جمع النص اللغتين العربية والتركية ففى البيت الثانى "تمت عمارة مسجد باه سى فتبتلى " و "باه سى" فى اللغه التركية تعنى مبارك ، وفى البيت الأخير" اتممته ارخه اى وصانه اوغلى على " وتعنى باللغة التركية هجرى .

شكل ٦ : علبة مستديرة من الخشب سطحها الخارجى مزخرف باشكال فنية على أرضية ذهبية وباطن الغطاء به رسم الحرم المكى على النصف الاعلى واسفله كتابه تركية من ثلاثة وعشرين سطرا منتهية (وقع فى بلدة قسطنطينه حفظه الله عن الآفات والبلية فى سنة إحدى وخمسين ومائة والف) وبداخل العلبة خريطة جغرافية مرسوم عليها نصف الكرة الشمالى وعند القطب رسمت بوصلة ، وبالنصف الآخر جدول بأسماء البلاد التى اشتملت عليها.، تؤرخ بسنة ١١٥١هـ.، متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، رقم سجل ٣٣٤٨.

شكل ٧ : جامع الدرويشية ، اللوحة التأسيسية، التى تعلو المدخل، بخط الثلث ،٩٨٢هـ./ ١٥٧٤م ، دمشق ، سوريا ، وهى باللغة التركية .

شكل ٨ : لوحة فنية للخط، المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية بالقاهرة.الرق. . . .م العام ، ٣٦٥١ / ١، اسم الناسـ.خ حافظ عمر المولوى ، تاريخ النسخ ، ١٣٥٠ هـ.، تضم آية قرآنية اسفلها، نص باللغة التركية بأنها ملك المغفور لها الأميرة

أمينه عزيزة هانم ، نوع الخط : الخط النستعليق فى الوسط، والثلث فى الأعلى والأسفل . لم يسبق النشر .

شكل ٩ : لوحة فنية، المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية، برقم ١٩/٢٩٠٢ ،الخط. اط، شرف سلطان، بتاريخ،٨٢٦هـ. ، لغة النص: بخط التعليق ، المذهب : عثمان يمنى بتاريخ ١٣١٨م، وهى باللغة الفارسية ،الترجمة:عقل المرء فى كلامه، والنظر على موضع طلعته ، وحضوره فى الجماعة. لم يسبق النشر.

شكل ١٠ : لوحة فنية، المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية ١٦/٢٨٩٩ ، الخطاط : عارف ، المذهب: عثمان يمنى بتاريخ ١٣١٨م لغة النص: النستعليق ، باللغة الفارسية.

مضمون النص الفارسى: أنت الذى يفخر العالم بذاتك، وتتيه الدولة عجبا بك مثل العين بروحها ، نحن وضعنا أسمه على ألسنتنا وكأنه يمن علينا بهذا، بأسمى الارض والسماء تتيه عجبا. لم يسبق النشر.

شكل ١١: لوحة فنية للخط، المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية بالقاهرة. رقم السجل العام، ١٧/٢٩٠٠، أسم الخطاط، ميرعلى ، المذهب ،عثمان يمنى، تاريخ التذهيب،"١٣١٨هـ. "، لغة النص ، العربية للإطار والفارسية للوسط، **مضمون النص الفارسى:** لأن ابنى الحبيب لا يتمتع بالوفاء، ليس له هم الا الجفاء، خذ العبرة من أهل البلاء فمع الحبيب ليس هناك الا المداراه . وهـ.و برواز من الأبنوي مطعم بالعاج.لم يسبق النشر.

شكل ١٢ : لوحة فنية ، المكتبة المركزية للمخطوطاط الإسلامية ،برقم ٢٨٩٥/ ١٢، الخطاط، كبه سهروت ، القياس ٤٨×٥٦ سم، نصه " يا حضرة مولانا قدس الأعلى سره ، لم يسبق النشر.

شكل ١٣ : لوحة فنية للخط العربى، المكتبة المركزية للمخطوطاط الإسلامية ، الرقم العام ٧/٢٨٩٠، المحتوى : سورة الفاتحة ، اسم الناسخ : محمود الشابورى، تاريخ النسخ : ٩٧١هـ. ، لم يسبق النشر.

شكل ١٤ : لوحة فنية للخط العربى ، المكتبة المركزية للمخطوطاط الإسلامية ، الرقم العام ١٤/٢٨٩٧، المحتوى : "وما توفيقى الا بالله" ، اسم الناسخ : عثمان يمنى ، تاريخ النسخ : ١٣١٨هـ. ، لم يسبق النشر.

الأشكـــــــال

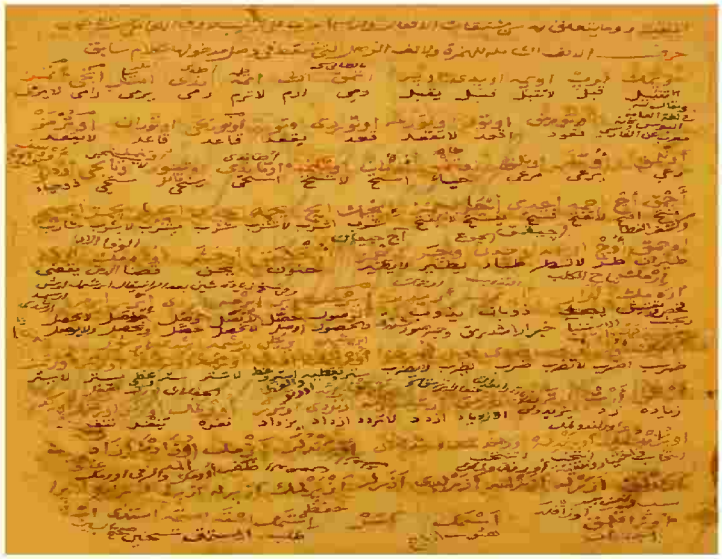

شكل (١)

شكل (٢)

شكل (٣)

شكل (٤)

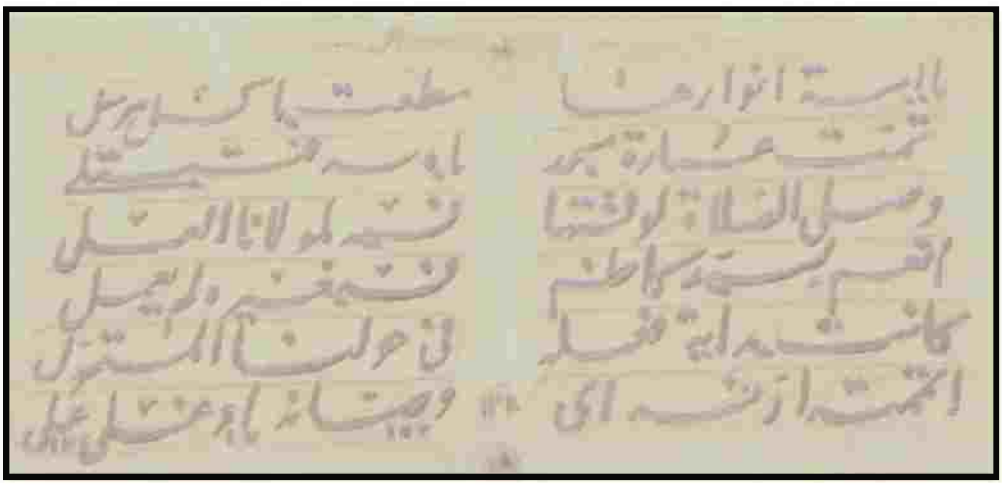

شکل (٥)

شکل (٦)

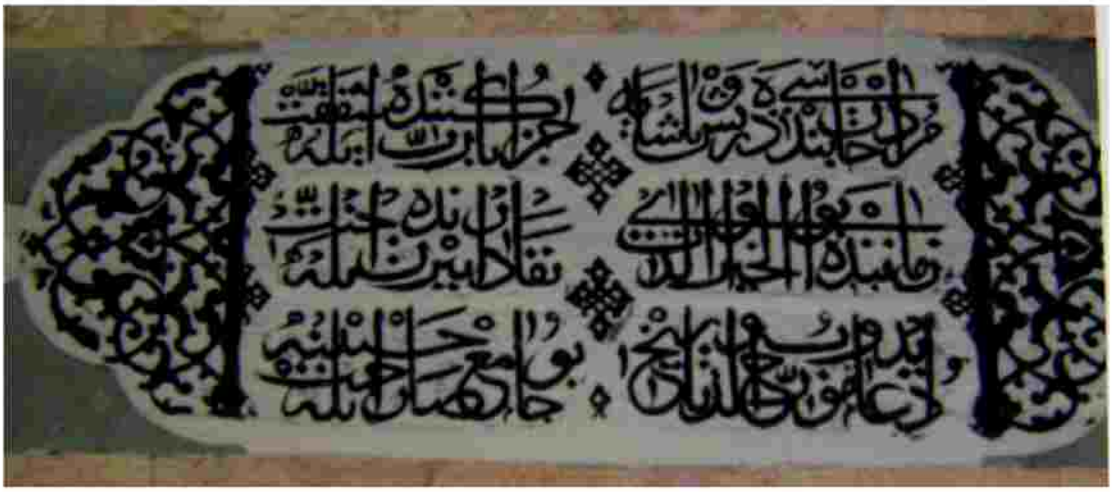

شكل (٧)

قال الله تعالى في كتابه الكريم
وما تدري نفس بأي ارض تموت
ان الله عليم خبير صدق الله العظيم
مرحومه حضرة الاميره جنت مكان المغفور لها
اميه عزيزه خانم قدس سرها
ارواح طيبه لري ايچون الفاتحه

شكل (٨)

شکل (۹)

شکل (۱۰)

چون یار سر وفا ندارد
کاری بجز از جفا ندارد
از ره دولان ستمگر ما را
با یار چه چاره جز صبر ما را

شکل (۱۱)

یا صاحب الزمان

شکل (۱۲)

شكل ١٣

شكل(١٤